الواقعية في القرآن الكريم - آيات مختارة نموذجاً
دراسة موضوعية

د ٠ كريم نجم خضر
استاذ مساعد
جامعة كركوك / كلية التربية

ملخص البحث

إن القرآن الكريم هو المصدر الأول للتشريع الأسلامي ، وهو اقعي في كل ما يعرضه من عقائد وأحكام ، وآداب ، لكونه كلام الله تعالى العالم بكل شئ ، لذا جعله الله تعالى خاتم شرائعه الذي لا تنقطع عجائبه وعطاياه ، فهذا الكتاب الخالد المعجز واقعي حينما لا يخالف أي تطور علمي ثابت ، وهو واقعي حينما يحارب الخرافات والجهالات التي لا أساس لها من العلم والعقل ٠

وهو واقعي حينما يهتم بالعقل والعلم ويأمر بالتفكير والتدبر ، وهو واقعي في كل تشريعاته من أحكام فقهية واجتماعية وهو واقعي فيما يحرمه من ممارسات لا تليق بالأنسان وواقعي فيما أحله مما يوافق الفطرة السليمة ويحافظ على السلوك المستقيم ، والتخلق بمكارم الأخلاق ٠

هذا البحث يتكون من فصلين ، ركز الباحث على واقعية القرآن الكريم في بيان تعامل الانبياء - عليهم السلام – بواقعية مع الناس ، وفي تشريعه تعالى للاحكام ، وفي تحليلاته للنفوس البشرية بواقعية واضحة ٠

وكذلك واقعيته في تعامله مع الاحداث التأريخية والحقائق الطبية وفي تصويره لطبائع الخلق بواقعية مطلقة من خلال نماذج مختارة من الآيات القرأنية – ومن الله العون وعليه التكلان ٠

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ، ولم يجعل له عوجاً ، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد ، وعلى آله وصحبه اجمعين ، اما بعد :-

فإن القرأن الكريم - الذي هو المصدرالاول للتشريع الاسلامي – واقعي في كل ما يعرضه من عقائد ، واحكام ، واداب ، لكونه كلام الله تعالى العالِم بكلّ شيئ ، ولذا جعله تعالى منبع خاتمة شرائعه ، وكتاب خاتم انبيائه ، وهو معجزة الاسلام الخالدة ، إذ لا تنقضي عجائبه ، ولا تنقطع عطاءاته يوماً بعد يوم ، فهو يواكب العلم ، والتطورات ، ويصدّقه كلّ ما يكتشف من علوم وابداعات ، إذ ما من تطوّرعلميّ يدرك الاّ ونجد الإشارة إليه في القرأن الكريم ، وهذا مصداق قوله تعالى {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ }(١) ٠

فالقرأن الكريم واقعيّ حينما لا يخالف أيّ تطوّر علميّ ثابت ، وهو واقعيّ حينما يحارب الخرافات والجهالات ، التي لا أساس لها من العلم والعقل ٠

وهو واقعيّ حينما يهتمّ بالعقل والعلم ، ويدعو الناس إلى التقدّم والتطوّر ، ولذلك أمر بالتفكّر والتدبّر، والنظر في الانفس ، وفي الكون وما فيه ، وهو واقعيّ حينما يطلب من الانسان أن ينتفع بالآرض وما فيها ، وأن يستخدم الكون لصالحه ٠

وهو واقعي ّ فيما يعرضه من العقائد التي تلزم المؤمنين التمسّك بها ، من توحيد الله تعالى الخالق ، واضح المفهوم ، بعيد عن التعقيدات التي اصطنعها اليهود والنصارى حول الخالق المملوء بالغموض والإبهام ٠

وهو واقعيّ في تشريعه للاحكام الفقهية والاجتماعية ، القابلة للتطبيق ، بل تدعو الحاجة الإنسانية الى تطبيقها ، من الصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج ، وغيرها من العبادات الآخرى ، التي توافق الفطرة الإنسانية ٠

كما هو واقعيّ في كلّ ما يحرمه ، اذ ما من محرم فيه الاّ لآنّه يؤثّر سلباً على الفرد والمجتمع ، مثل : الممارسات الجنسية الآثمة ، والقروض الرّبوية ، والخمور ، والمخدّرات ، وهو واقعيّ حينما وضع بدائل لهذه المحرّمات ٠

وهو واقعيّ حينما أعطى الرخص الفقهية ، بما يتوافق مع الطبيعة الإنسانية ، الجهاد مفروض ولا حرج على من عجز عنه ، والصيام فرض ، ومن كان مريضاً او مسافراً فليفطر ، وكذلك رخصة القصر والجمع في الصلوة حال السفر، والتيمم لفاقد الماء ، وغير ذلك من الرخص ٠

وهو واقعيّ حينما شرّع الزواج ، والطلاق ، والميراث ، والوصية ، والمعاملات المالية ، من الشركة ، والسلم ، والقراض ، وغيرها ٠

وهو واقعي حينما تدرّج في تحريمه لبعض المظاهر القبيحة في المجتمع ، كتدّرجه في تحريم الخمر ، والربا ، كما كان حكيماً وواقعياً حينما قضى على الرّق ، والعصبيّة ، والتفاخر بالانساب ، وكلّ ما يفرق بين افراد المجتمع ، ويقضي على وحدته ٠

وهو واقعيّ فيما يأمر به من التمّسك بالأخلاق الفاضلة ، والآداب الجميلة ، وتجنّب الرذائل والأخلاق السيئة ٠

والإسلام النابع من هذا القرآن واقعيّ بطبيعة الحال ، اذ يعتمد فيما يشرّعه على هذا القرأن الكريم الواقعيّ ، لذا نجده واقعياً حينما يشرع الاجتهاد في إطار الشريعة الإسلامية ، وبذلك يعطي الحرّيةّ للإنسان ، ويحررّه من إغلاق الفكر والعقل ٠

وهو واقعيّ حينما أسّس قواعد تخدم المصلحة الإنسانية ،من : الأصل في الاشياء الإباحة ، والأصل براءة الذمة ، ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح (٢) ، وأينما توجد المصلحة فثمّ شرع الله ، والضرر يزال ، والضرورات تبيح المحظورات ، ولا ضرر ولا ضرار ، وغير ذلك من القواعد الفقهية والاصولية ، التي تعطي صفة الواقعية للشريعة الإسلامية ٠

كما أن الإسلام واقعيّ حينما يحارب كلّ ما يشاع باسمه من الخرافات والجهالات ، وان كان على ألسنة من يتكلّم باسمه ، وبذلك حافظ الإسلام على واقعيته وصدقه ، وصلاحه لكل زمان ومكان ٠

اسباب اختيار الموضوع :

يرجع سبب اختياري للكتابة في هذا الموضوع الى ما يأتي :-

١- كون الموضوع متعلقاً بكلام الله تعالى ، والباحث من الذين يحبّون العيش في ظل وخدمة القرآن الكريم ٠
٢- أهمية الموضوع ، من حيث كونه لم يطرق من قبل – حسب علم الباحث ٠
٣- كون الموضوع يُظهر صلاح الإسلام لكل زمان ومكان ٠

خطة البحث :

جاء هذا البحث في فصلين ، بين الفصل الأول ، واقعيّة القرآن الكريم في بيانه لتعامل الأنبياء – عليهم السلام – مع الناس ، وفي تشريعه للأحكام الفقهية ، وفي تعامله مع الناس في ارشاداته ، وفي تحليلاته للنفوس البشريّة ، وذلك في أربعة مباحث ، اشتمل كلّ مبحث منها على عدّة مطالب ، وتكلمّ الفصل الثاني : عن واقعيّة القرآن الكريم في تعامله مع الأحداث التاريخيّة ، وفي بيانه للدلالات العلميّة والطبيّة على صدقه ، وفي بيانه لأحوال الناس وتعاملهم مع الأحداث ، وفي نظرته إلى الكون باعتباره مسخّراً لمنفعة الناس ، وفي تصويره لطبائع الناس ، وذلك في خمسة مباحث ،

اشتمل كلّ مبحث منها على عدّة مطالب ، وأود أن أشير إلى أن البحث تناول نماذج من ألآيات القرآنية حول الموضوع ٠

وفي الختام أسال الله تعالى أن يجعلني في خدمة القرأن الكريم ، وأن يلهمني الرّشد والصواب في فهمه ، وما كتبته هنا ليس إلاجهد مقلّ ، فأن أصبتُ فيه فهو من عند الله تعالى ، وأن أخطأت ، فمن نفسي ، وما من إنسان إلاّ ويؤخذ من قوله ويرّد ، سوى النبيّن في مجال الدّين ، وصلى الله على سيّدنا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين ٠

الفصل الاول : واقعية القرآن الكريم في بيانه لتعامل الانبياء – عليهم السلام – مع الناس ،وفي تشريعه للأحكام الفقهية ، وفي تعامله مع الناس في ارشاداته ، وفي تحليلاته للنفوس البشرية ٠

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الاول : واقعية القرآن الكريم في بيانه لتعامل الانبياء – عليهم السلام – مع الناس ٠

المبحث الثاني : واقعية القرآن الكريم في تشريعه للأحكام الفقهية ٠

المبحث الثالث : واقعية القرآن الكريم في بيان التعامل مع الناس ٠

المبحث الرابع : واقعية القرآن الكريم في تحليلاته للنفوس البشرية ٠

المبحث الأول : واقعية الانبياء – عليهم السلام – في تعاملهم مع الناس :

يُبرز القرآن الكريم واقعية تعامل الانبياء – عليهم السلام – مع اتباعهم ، وغيرهم من الناس الاخرين ، حتى لو كانوا اعداءهم ، والقرأن الكريم يريد من خلال ذلك ان يعلمنا بأنهم بشر مثلنا يعرض عليهم أثاروأوصاف الإنسان ، كما يريد منا أن نقتدي بهؤلاء البشر ائمة الناس ، حيث اختارهم الله تعالى من بين سائر الناس ، لفضلهم وطهارة جوهرهم ومعدنهم ، وفيما ياتي نماذج لمعاملتهم الواقعية في بعض المواقف ، التي حكاها لنا القرآن الكريم ٠

المطلب الأول: واقعية سيدنا موسى – عليه السلام – في تعامله مع اخيه هرون واتباعه ٠

يحكي لنا القرآن الكريم موقف موسى – عليه السلام – وكيفية تعامله مع قومه حينما رجع اليهم، وقد عدلوا عن التوحيد ومنهج الله تعالى الذي تركه بينهم حيث لامهم الله تعالى على انحرافهم ، وسوء تصرّفهم من بعده ، كما يقول تعالى {وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِيَ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ } (٣) ٠

فبيّن القرأن الكريم أنّ موسى – عليه السلام – قد غضب غضباً شديداً ، وتأسف أسفاً كبيراً حينما رأى قومه قد عبدوا العجل من دون الله تعالى ٠

كما بيّن القرآن الكريم بواقعية ردّ فعل موسى – عليه السلام – على هذا الفعل الشنيع ، ولاسيما موقفه مع خليفته من بعده واخيه هرون –عليه السلام – الذي كان نبياً ايضاً ، فبيّن القرأن الكريم كيف أن موسى – عليه السلام – غضب غضباً شديداً وبلغ به الانفعال النفسي حتى خرج عن المألوف ، وصار كأنه فقد الصواب حاله حال أي رجل من عوام الرجال ، حيث ألقى بألواح التوراة التي هي كلام الله تعالى المقدّس – على الارض ! لشدّة غضبه ، كما أخذ برأس أخيه ولحيته يجرّها إليه ، كأنه يحاسبه علي سوء استخلافه من بعده حسب ظن موسى-عليه السلام- ورأيه كما يقول تعالى{ وَأَلْقَى الألْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ} (٤) ٠

إذ ذهب موسى – عليه السلام – إلى مناجاة الله تعالى اربعين يوماً ، وفي هذه المدّة عبد قومه العجل الذي صنعه لهم السامري من الذهب ٠

ثم انتقل القرأن الكريم إلـى بيان موقف هارون – عليه السلام – الحكيم والرزين ، تجاه موقف اخيه الغضبان الغيور على دين الله تعالى وحقّه في الالوهية والوحدانية ، فبيّن أن هارون كان موفّقاً وواقعّياً في تهدئة غضب أخيه ، ووضّح له أنّه لم يكن مقصّراً في ذلك ، وأنه لم يأل جهداً في منع قومه من الانحراف ، حتى استضعفوه وكادوا ان يقتلوه ، فكان هارون – عليه السلام – ذكياً حينما خاطب أخاه موسى – عليه السلام – بأبن أمه ، جلباً لعطفه وحنانه وشفقته تجاهه ، وطلب منه أن لا يعنّفه هذا التعنيف الشديد حتى لا يُشمت به ويفرح أعداؤهما ، كما قال تعالى في بيان ذلك {قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي فَلاَ تُشْمِتْ بِيَ الأعْدَاء وَلاَ تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ } (٥) ،فهنا طلب هرون من أخيه موسى – عليهما السلام - أن يكون واقعياً في تصرّفه وقراراته ، وأن يقرأ ما وراء الكواليس ، وأن يتفهم براءته من انحراف القوم ، بأن لا يعدّه فـي زمرة الظالمين مع أنّه بريء وطاهر ، وعفيف ، وغير مقصر في خلافته ووظيفته ، فقد رأى هارون أن يحفظ الأنفس والأموال ، وأن يؤثر السلامة على الفتنة لأنه رأى أن حفظ العقيدة يستدرك فواتها برجوع موسى بخلاف مصلحة حفظ الأنفس أذا لا يسهل تداركها ، بينما رأى موسى – عليه السلام - أن الذي كان على هارون أن يفعله هو حفظ الدين الذي هو أم المصالح (٦) .

المطلب الثاني : - واقعية سيدنا عيسى – عليه السلام – في جوابه لله تعالى ربّ العالمين :

تحدّث القرأن الكريم عن حوار يقـع بين الله تعالى وبين عبده ونبيّـه عيسى – عليه السلام – يوم القيامة امام الناس ، إذ نجد الله تعالى العالم بكلّ شيء يسأل في ذلك اليوم الرهيب عيسى – عليه السلام – مع علمه تعالـى بالمسؤول عنه ، ليقرّالمسؤول (عيسى) بما يعلمه السائل (الله تعالى) ، كما يسأل الأستاذ التلميذ ليقرّ بما يعلمه ، فكذلك يكون سؤال الله تعالى لعيسى – عليه السلام – لتقريع من قالوا عن عيسى – عليه السلام – ما لـم يبلغهم اياّه ، إذ أن عيسى – عليه السلام - لم يبلّـغ أتباعه أن يتّخذوه هو وأمّه إلهين من دون الله تعالى ، لأنّ عيسى ابن مريم - عليه السلام – إنما بلّغ ما اوحى له ربّه فقط ، وهو أنه عبدالله ورسوله خلقه الله تعالى من دون اب ، فكان عيسى – عليه السلام – واقعياً في جوابه لله رب العالمين ، وفي وصفه الله تعالى بأنه يعلم كلّ شيء عن احواله واحوال غيره ، فإن قاله فإنـه تعالـى يعلمه ، إذ يعلم ما يختلج في صدره وفي نواياه ، ولا يعلم أحد ما فـي نفس الله تعالى ، فنزّهه عيسى - عليه السلام – من أن يخفى عليه شيء ، فأثبت عيسى – عليه السلام – بواقعيّة ، كما أراد ذلك تعالى أن لاشيء من جانبه ، وأنه لم يقل شيئاً ممّا نسبوه إليه ، وكل هذا الحوار إنمّا هو لتقريع الله تعالى لمن قالوا في عيسى – عليه السلام – وأمّه غير الحق (٧) ، كما قال تعالى عن ذلك {وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ }(٨) .

ويحسن بنا أن نشير هنا إلي دقّة عيسى – عليه السلام – وواقعيته في التعبير ، حينما أختار لفظ : (عبادك) في قولـه {إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ } ولم يقل : (إن تعذّبهم فإنهم يستحقون ذلك)) أو (فذلك عدل) ، ذلك أن كونهم عباده ، أنه تعالى المستحق للعبادة دون غيره ، أنّه الإله الحق ، فمستحقّ العبادة من كان الخلق عباده ، دون من ليس له عباد ، فإنه لو قال : (فإنهم يستحقون ذلك) ، أو قال : (فذلك عدل) ، لم يعن ذاك أنهم عباده ، فالناس ليسوا عباداً لمن يعدل ، كما أنهم إذا كانوا يستحقون بالعذاب ، فليس معناه أنهّم عباد لمن عذّب ، فاختيار لفظ العبودية أنسب شيء في هذا المقام (٩) .

كما أشار عيسى – عليه السلام – من خلال تعبيره بلفظ : (عبادك) إلى أنه تعالى ليس له معترض على ما يفعل بهم من تعذيب او مغفرة ، فالأمر كلّه إليه ، ومتروك لمشيئته ، ومناط بعزّته وحكمته ، وحلمه ، فإنه هو العزيز الحكيم (١٠) .

المطلب الثالث : - واقعية سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – في تعامله مع اصحابه ، وغيرهم من الناس : -

بيّن الله تعالى في القرآن الكريم تعامل رسوله محمد – صلى الله عليه وسلم – مع الناس ، فبيّن تعالى أنه كان ليّناً عطوفاً رحيماً بالناس رفيقاً بهم ، وأن كلّ هذا كان بفضل الله تعالى ورحمته ، لأن هذا كان جزءاً من جوانب تهيئة الله تعالى لهذه النفس العظيمة لحمل الرسالة العالمية العظيمة ، التي يحتاج حملها ونشرها الى الرفق ، والسماحة ، وسعة الصدر ، وغيرها من الصفات الجميلة ، التي تخلّق بها الرسول – صلى الله عليه وسلم – بين الناس ، واستطاع بذلك أن يحقّق النصر العظيم لدين الله تعالى ، وأن يدخل بدينه ومنهجه في قلوب الناس ، وأن يجتمعوا حوله ويحبّوه اشد الحبّ، وأن لا يعدلوا به اقرب الناس اليهم ، وهذا هو ما نراه في الواقع ، فالقائد اللين الرحيم العطوف ، هو الذي يتبعه الناس ويحبّوه ، وينصرونه ، اما الفظ ، الغليظ القلب ، الحاقد ، الظالم ، فيفرّ الناس منه ، ويبغضونه ، ويحبّون أن ينفلتوا من أيديه (١١).

فبيّن القرآن هذه الواقعية في أخلاق محمد- صلى الله عليه وسلم – بقوله {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ } (١٢) إذ عطف الرسول – صلى الله عليه وسلم – وحنانه حمله على أن يتألم لألام الناس ويبكي لبكائهم ، فإذا راى فقيراً أحسّ بألام فقره ، واثقال بؤسه ، وحمله ذلك على تخفيف الويلات ، ومسح العبرات ، ومكافحة ألام الناس ، ومدافعة أحزانهم (١٣) .

كما أمره تعالى بهذه الواقعية في تعامله مع الناس ، إذ أمره أن يعفو عن المسئ والمخطئ ، وأن يستغفر لهم الله تعالى ، إذ بذلك يصلحون ويتراجعون عن الباطل ، ويرجعون إلى الحق ، بمقتضى متطلبات النفس ألإنسانية ، التي هي مجبولة على حبّ من أحسن اليها .

كما امره تعالى أن يأخذ بمبدا الشورى في الحكم الذي ليس فيه وحي ، وأن لا يستبدّ برأيه ، ولايهمل الأخرين ، وكان القرآن واقعياً حينما أطلق الشورى ، ولم يقيّدها بشكل معيّن ، إذ ترك ذلك للأمة تشكّله حسب ما ترى من مصلحتها في كلّ زمان ومكان ، فالمبدأ ثابت دائم لا رأي لاحد فيه ، ولا تملك الأمة تغييره ، لأنه تشريع دائم ، والشكل متغيّر متطوّر ، للامة الرأي في تغييره وتطويره برأي ذوي العلم ، والخبرة من بينها ، وهم أهل الحلّ والعقد فيها (١٤) .

ويعرض القرآن الكريم في هذه الاية درساً عظيماً للدعاة ، وهو أنه لا يكفي – لتقبّل الناس منهم الدعوة – أن تكون المادةّ طيبة وقيمة في ذاتها فحسب ، وانما لا بد أن تقدّم بطريقة طيبّة ، لاتنفر الناس ، ولا تصرفهم عماّ فيها من حق ، وجمال ، وقيمة ، ومنفعة ، كما فعل ذلك الرسول – صلى الله عليه وسلم – المقتدى الأسوة (١٥) .

ولا يعني ذلك إطلاقاً أن نتملق مع الناس ، ولا أن نخفي عن الناس تكاليف الدين وواجباته ، ولا نبرز لهم الاّ الجوانب الهيّنة السهلة ، اذ أن هذا ضعف وخوار ، ومداهنة ، وكذب ورياء في تبليغ الحق كما هو بحكمة وحنكة (١٦) .

ويشير القرآن الكريم بقوله : {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ } إلى أن يكون الواحد منا – اذا كان ليناً حسن الخلق – يحسب أنه إنما حصل على هذه الموهبة من الله تعالى ، فعليه أن يشكره على ذلك ، لا أن يتكبّر بفضل الله تعالى عليه على الاخرين (١٧) .

ويشير تعالى إلى ذلك بقوله { فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ }(١٨) .

المبحث الثاني : - واقعية القرآن الكريم في تشريع الأحكام الفقهية : -

بما أن الإسلام دين عالميّ ، يصلح لكل زمان ومكان ، ولكلّ مجتمع لأنه من عند الله تعالى الخالق ، قال تعالى {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ } (١٩) فهو تعالى عالم بما هو صالح لعباده

، ولذلك نجد مصدره الأول (وهو القرأن الكريم) واقعياً في تشريعه للأحكام الفقهية ، التي يحتاج الناس اليها في حياتهم اليومية ، وفيما يأتي عرض لبعض تلكم الاحكام وهي كالأتي :-

المطلب الاول :-استجابة القرأن الكريم فى تشريعه للآحكام للغرائز الفطرية فى الإنسان ، كالشهوة الجنسية ، وشهوة الأكل : -

حينما يشّرع الإسلام بعض العبادات ، ويأمر بها ، لا يتحامل على الإنسان بالكليّة ، بأن يمنعه من الغرائز الفطرية منعاً باتاً ، بل يبقي له ما يشبع به غريزته الفطرية وذلك كفريضة الصيام ، حينما أمر بها القرأن الكريم بقوله{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } (٢٠) ، استجاب لفطرة الإنسان فأحل له الرفث إلى امرأته ، وكذلك تناوله للمأكولات والمشروبات طيلة الليل (أي : من غروب الشمس إلى طلوع الفجر) ، كما قال تعالى{ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ (٢١) ، هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُواْ مَا كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّواْ الصِّيَامَ إِلَى الَّليْلِ وَلاَ تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ } (٢٢) .

وكان القرأن واقعياً حينما عبّر عن العلاقة بين الزوجين بكون كلّ واحد منهما لباساً للأخر ، من حيث احتياج كلّ واحد منهما للأخر ، وستر كلّ منهما لعيوب الأخر (٢٣) .

وكان القران الكريم واقعياً حينما تحدّث بلغة الكرام ، وتنزّه عن استخدام الألفاظ القذرة ، وبذلك يؤدّبنا ويعلّمنا ادب الكلام في المجالس وبين الملأ ، لكي نحافظ على الحياء ، وعلى قدرنا ومروءتنا ، فنجده تعالى يعبر عن الجماع ودواعيه بالرّفث : وهو كلام يستقبح التلفظ بالمراد منه ، فهو كناية عن الجماع هنا ، وهكذا يعبّر القرأن عن هذا الأمر حين الحاجة اليه بعبارات مبهمة ، كما قال تعالى{ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء} (٢٤) ، وقال تعالى { وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ } (٢٥) ، وقال تعالى {اللاَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ} (٢٦) ، وقال تعالى { فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ}(٢٧) ، وغيرها من الآيات (٢٨) .

المطلب الثانى : - واقعية القرأن الكريم فى بيانه للتكاليف الموجودة فى الأحكام الفقهية : -

إن الإسلام واقعي حينما يعترف بوجود المشاقّ والتكاليف في أوامره وواجباته ، لأنّ الوجود خير دليل على الوقوع ، فحينما ننظر إلى الإركان الخمسة للإسلام نجد في الالتزام بها من المشاق التي لا يتحمّلها الاّ من أخلص لله تعالى ، ولذلك نجد أيات القرأن الكريم ونصوص السنة النبوية كثيراً من الحوافز والمشجّعات لتنفيذ أوامر الله تعالى ، والالتزام بها ، كما يعطي تعالى تهديدات كثيرة لمن اخلّ بها وتكاسل عن ادائها ، وقوله تعالى {لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا} (٢٩) خير دليل على الاعتراف بوجود تلك المشقّة وواقعية التكليف بما يطاق فحسب .

ومن أصعب الواجبات على النفس البشرية تكليفه من قبل الله تعالى بأن يقدّم مهجه وحياته في سبيل الله عن طريق الجهاد ، والقتال ضد الكافرين المعتدين ، وهنا دخل القرأن الكريم أعماق النفوس البشرية ، المحبّة للحياة والعيش الهنيء بين ألاهل والأولاد ، فتحدّث عن كراهتها بطبيعتها للقتال والفداء بالنفس والروح ، حينما قال { كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ}(٣٠) أي : بطبيعتكم لمشقتها على النفوس (٣١) .

يقول محمد قطب حول هذا الأية :((إنّها طريقة الإسلام الواقعية في التربية ، إنه لاينكر عليهم كرههم للقتال ولا يفرض عليهم فرضاً أن يتجردوا من مشاعرهم البشريّة الفطريّة ولكنّه إذ يقّر هذه المشاعر الفطرية من حيث المبدأ ، لا يتركها على حالها ، دون رفع ، أو تطهير ، أو توجيه ، إنه لا يستنكرها منهم فقط لكي لا يوقعهم في شدّ عصبيّ بين واقعهم وما ينبغي أن يكونوا

عليه ، ولكنه يوجّهها بما يؤدّي إلى رفعها ، وتطهيرها ، والصعود بها إلى القمّة المطلوبة ، وكذلك فعل بأمر القتال ، يقرّهم على أنه كره لهم ، ثم يوجههم إلى أنه ليس كل شيء يكرهونه يكون شراً ، فقد يكرهونه ، ويكون فيــه الخير ، وقد يحبّونه فيكون فيه الشرّ، ومن هذا الخيط يحبذ بهم إلى أعلى ، فيستجيبون طائعين ، ويصلون إلى قمّة ، لامثيل لها في التضحية والفداء))(٣٢) ٠

وهذا هو معنى قوله تعالى {عَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ } (٣٣) ٠

فالكراهـة الطبيعيـة لا تنـافي الرضـا بمـا يكلّـف بـه الإنسـان ، كـالمريض يشـرب الـدّواء المرّالبشع ، الذي تعافه نفسه ، ويتحمّل ذلك لما يرى فيه من منافع في العاقبة (٣٤) ، فهناك الكثير من الأشياء المكروهة طبعاً، ويفعله الإنسان لما يرجو فيه من النفع والخيرفيما بعد ، فقد يتحمل الإنسان أخطارالأسفارلتحصيل الربح في التجارة ، كما يتحمل المتاعب في طلب العلم للفوز بالسعادة في الدّارين ، وهكـذا الحـال فـي الجهـاد ، فبتّحمـل متاعبـه يحفـظ الـدين والعبـاد والـبلاد مـن الأعـداء والاستبداد والظلم ، وإن قيل : إنّ فـي تركه صون النفس عن خطر القتل ، والمال عن الانفاق حـالاً ، قلنـا : نعـم ، ولكـن فـي ذلـك مفاسد ومضـارّ كثيـرة فـي المسـتقبل ، مـن تسـليط الكفـار علـى بـلاد المسلمين ، وأموالهم ، واستباحة حرماتهم ، وقد يكون في ذلك القضاء عليهم (٣٥) ٠

المطلب الثالث : - واقعية القرأن الكريم في اعترافه بوجود المنافع في الخمر والميسر ، مع تحريمه لهما :-

إن الإسلام لا يحرّم شيئاً الاّ وفيه مـن المضـارّ والسلبيات علـى الـنفس البشـرية والمجتمـع الإنسـاني مـا يـدعو إلـى منعـه وحظـره ، ومنـه الخمـر والميسـر ، اللـذان يولـدان العـداوة والبغضـاء ، والفواحش والأمراض بين الناس ، ولكن الإسلام لعدالته وصدقه ومطابقتـه للواقـع لا ينكـر مـا يوجـد فيهما من المنافع للناس ، من اللذة والفرح فـــي الخمـر، وإصـابة المـال بـلا كـدّ ومشـقة فـي الميسـر ، ولكن الحكم دائماً للغالب (٣٦) ٠

ويعلمنّا تعالى بذلك الصدق والعدالة في التعامل مع الواقع والموجود ، ولكن بشرط بيان كلّ الجوانب من الإيجابيات والسلبيّات حتى الوصول إلى المطلوب اتباعه ، لا أن يخلط الحق بالباطل ، او يجعل ذلك وسيلة للدعاية إلى الباطل وتزيينه ٠

وقولـه تعـالى فـي الخمـر والميسـر بيـان لكـلّ ذلـك ، اذ يقـول تعـالى {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا } (٣٧) ٠

وفيما سبق إشارة إلـــى القاعدة العظيمـــة ، التـي دوّنهـا علمـاء الإسـلام فيمـا بعـد ، وهـي : (درء المفاسد مقّدم على جلب المصالح)(٣٨) ، وإلى القاعدة الفقهية الأخرى ، وهي : (أرتكـاب أخـف الضررين إذا كان لا بدّ من أحدهما)(٣٩) ٠

المطلب الرابـع : - واقعيـة القـرأن الكـريم فـي تشـريعه لصـلاة الخـوف ، وغيرهـا مـن الرّخص ، مراعاة لأحوال العباد :-

إنّ أحكام الشريعة الإسلامية كلّها واقعيّة وقابلةللتطبيق ، لأن الله تعالى راعى طاقة الانسان وقواه البدنية حينما كلّفه بالواجبات ، ولذلك نجد أنـه تعالى لم يكلّف بالمستحيل ، أو غير المقدور، كما قال تعالـــى {لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا } (٤٠) ، وقـال تعـالى {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا مَـا آتَاهَـا } (٤١) ، وبعـد ذلـك نجـد الإسـلام قـد رخّـص فـي تطبيـق الواجبـات حينمـا تعـرض طـوارئ تـدعو الـى التخفيف ، ومن تلك الرخص صلاة الخوف ، أي : أداء الصلوات المفروضة وقت الخوف والقتال ، فيجوز فـي الصلاة حينذاك ما لايجوز في حالة ألامن ، من القيام بالحركات الكثيرة ، وغيرها ، كما هو مفصل فـــي الكتب الفقهية (٤٢) ٠

ويقول تعالى فيها {وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاَةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَى أَن تَضَعُواْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ إِنَّ اللّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُّهِيناً } (٤٣) ٠

وهناك رخّص أخرى كثيرة في الصلاة في مناسبات أخرى ، كالصلاة قاعداً أو مضطجعاً للمرضى ، والصلاة جمعاً وقصراً للمسافر ، والصلاة بالتيمم لفاقد الماء ٠

كما أن هناك رخّصاً في العبادات الأخرى ويجوز للمريض والمسافر أن يفطر ، والصيام فرض ، منها : الجهاد فرض بشرطه ، ولا حرج على من عجز عنه ، والحج فرض ، ويجوز للمعضوب العاجز أن يستنيب عنه ، فكلّ هذه الرخص وغيرها تدلّ على واقعية الإسلام وموافقته للفطرة الإنسانية (٤٤) ٠

المطلب الخامس : ـ واقعية القرآن الكريم في تشريعه القصاص :ـ

إن الإسلام دين واقعي يتعامل مع الواقع ، ويعالج القضايا التي تقع في ميدان الواقع ، ولذلك نجد أنه شرّع أحكاماً رادعة لمن يريد أن يعبث بحياة الأخرين ، لأن الإسلام من مقاصده المحافظة على الضروريات الخمس ، التي هي : الدين ، والنفس ،والنسل ، والعقل ، والمال (٤٥) ٠

فالإنسان عند الله تعالى كريم معزّز مكرّم ، كما قال تعالى {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ} (٤٦) ، ويقول الرسول - صلى الله عليه وسلم – ((لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل مسلم)) (٤٧) ٠

فقد سخرّ الله تعالى السماء والارض وما فيها للإنسان ، فكيف يسمح أن يهدر دمه ، أو تقطع أعضائه من غير حق ، ولكن الإسلام لواقعيته أدرك أن هناك نفوساً خبيثة تريد أن تفسد في الارض وتهلك الحرث والنسل ، ولذلك شرّع القصاص في النفوس والاطراف ردعاً لاولئك المجرمين ، ونشراً للأمن والأمان في الأرض ، حينما يؤخذ الجاني فيقتصّ منه ، ويرتدع بذلك الآخرون ، كما يقول تعالى في ذلك {وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاْ أُولِيْ الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } (٤٨) ، فجعل تعالى الحياة في القصاص ، الذي بيّنه القرآن الكريم بقوله {وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ } (٤٩) ٠

المبحث الثالث : ـ واقعية القرآن الكريم في بيان التعامل مع الناس : ـ

إنّ القرآن الكريم واقعّي في أوامره وارشاداته للناس ، لكي يتعاملوا مع الأخرين بأسلوب حسن وجميل ، فهو يرشدهم الى المحافظة على مصالح الأخرين وممتلكاتهم ، وإلى نبذ كلّ ما يؤذي الأخرين ، وأن كان من العادات والتقاليد الموروثة من الأباء والأجداد ، فالحق أحقّ أن يتبعّ ، كما يرشد القرآن الكريم الناس إلى تجنّب النفاق والفساد ، والتمسك بالصدق والعدل والأمانة مع الأخرين ، حتى يسلم الناس من أيديهم وألسنتهم ، وفيما يأتي نماذج من تلك الإرشادات ، وهي :ـ

المطلب الاول :ـ واقعية القرآن الكريم في حفاظه على أمن المجتمع ، من خلال ارشاده الناس إلى المحافظة على أموال الأخرين :ـ

لم يتجاهل القرآن الكريم أحتياج الناس بعضهم الى بعض ، ولذلك لم يمنعهم من معاملة بعضهم مع البعض الأخر ، لأن الإنسان مدنّي بطبعه ، ولكن لمعرفته بحقيقة النفس الإنسانية المحبّة للطمع والزيادة في الأموال ، والسيطرة والجاه ، منعها من أن تأكل أموال الآخرين بالباطل ،

سواء كان بالتعّدي والظلم ، أو عن طريق الرّشوة ، واستخدام المنصب والوظيفة لجمع الأموال ، وهو الذي يسّمى بالفساد الإداري والمالي ، الذي تعاني منه كثيرٌ من المجتمعات ، الذين تهمّهم بطونهم ومصالحهم ، ولا يرعوون في سبيل الحصول عليها ، فنهى تعالى عن ذلك بقوله {وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقاً مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ } (٥٠) .

وفي إضافته تعالى الأموال إلى المخاطبين إشعار بوحدة الأمة ، وما ينبغي أن تكون عليها من التكافل والتضامن الإجتماعي ، وتنبيه إلى أن المحافظة على أموال الاخرين محافظة على مالك ، كما أن التعّدي عليها تعدّ على الأمة التي أنت أحد أعضائها (٥١) .

كما أن الأية فيها من العبر والدروس لوكلاء الدعاوى (المحامين) ، إذ لاينبغي لمن يؤمن منهم بالله واليوم الأخر أن يقبل الوكالة في دعوى يعتقد أن صاحبها مبطل ، فيكون مشاركاً له في أكل أموال الناس بالباطل ، وتعظم الجريمة اذا تدخّل الحكّام في أكل أموال الناس ، والدّولة عن طريق الرشوة والاختلاس ، كما أشارت إلى ذلك الأية الكريمة (٥٢) .

وحينما يأكل واحد منا أموال غيره بالباطل ، فلن يستطيع أن يعفي غيره ممّا أباحه لنفسه ، فسيأكل غيره ماله بالباطل أيضاً ، وهنا يصير الناس جميعاً نهباً للناس جميعاً ، ولكن حين يحكم الإنسان بقضية الحقّ ، فأنت لا تأخذ الاّ بالحقّ ، ويجب على الغير ألاّ يعطيك الاّ بالحقّ ، وبذلك تخضع حركة الحياة كلّها لقانون ينظّم الحقّ الثابت الذي لا يتغيّر (٥٣) .

المطلب الثاني : - واقعية القرأن الكريم في إرشاده الناس إلى التعامل مع الأخرين بحسن خلق وادب رفيع : -

يرشد القرأن الكريم أتباعه إلى أن يكونوا واقعيّين في التعامل مع المحيط بهم ، من السماء وما فيها ، ومن الأرض وما عليها ، إذ حينما يسأل محمد – صلى الله عليه وسلم – عن الأهلّة أي الحكمة من وراء الاختلاف على أحوالها من الصغر والدقة والكبر ، فيجيب القرأن عن سؤالهم ببيان منافع الأهلة الموجودة للناس من المصالح الدينية والدنيوية ، إذ بها يعلمون أوقات حجّهم وصومهم ، وإفطارهم ، ومحلّ ديونهم ، وأجائرهم ، وعدَد النساء ، وأوقات الحيض ، وغير ذلك من الأحكام المتعلّقة بالأهلّة (٥٤) ، وهذا تنبيه من القرأن الكريم إلى أن نكون واقعيين في توجيه الاسئلة ، فنسأل عما هو مفيد ومقصود ، لا عمّا لا فائدة لنافيه ، كما قال تعالى {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ } (٥٥) .

المطلب الثالث : - واقعية القرأن الكريم في كيفية تعامله مع المنافقين ، والمفسدين في الأرض :-

اعترف القرأن الكريم بوجود المنافقين والجواسيس والخونة داخل المجتمع الإسلامي ، ونبّه السلطة الحاكمة الى تعاظم خطر هؤلاء على الدولة والمجتمع ، وحذّرها من مغبّة الإغفال عنهم ، وأطلعها على بعض صفاتهم ، وبيّن أنّ غاية هؤلاء هي الفساد في الارض ، بنشر الرّذيلة والرعب والخوف بين الناس ، وإهلاك الحرث والنسل ، فأرشد القرأن الكريم الهيئة المسؤولة في الدولة إلى عدم طاعة هؤلاء المفسدين ، بل وإلى أخذ الحيطة والحذر من أخطار هم ، كما يقول تعالى {وَمِنَ النَّاسِ(٥٦) مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيِهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ } (٥٧)

ثم أخذ القرأن الكريم بتحليل نفسية هؤلاء المجرمين بواقعّية كيف أن باطنهم يخالف ظاهرهم ، وأنهم لايسمعون النصح ، بل تأخذهم العزّة بالإثم اذا قيل لهم : أتقوا اللهَ ولا تفسدوا في الأرض كما يقول تعالى في ذلك {وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ

} (٥٨) ، أي : أن هؤلاء اذا قيل لهم : اتقوا الله في سرّكم وعلانيتكم حملتهم العزّة وحمية الجاهلية علــى فعل الإثم ، والظلم ، وترك الالتفات إلــى الوعظ ، وعدم الإصغاء اليه (٥٩) .

فالنفاق جرثومة الانتكاس في كلّ نهضة ، والفساد فـي كلّ صلاح ، والتعويق فـي كلّ تقدّم ، والهزيمة في كلّ حرب ، ولكلّ ذلك نجد القرآن الكريم حارب النفاق والمنافقين حرباً لا هوادة فيها ، ونعى عليهم في دنياهم وأخراهم بما لم ينع بمثله على الكافرين ، وجمع لهم من خلال السوء ما لم نر مثله في عباد الأصنام ، وقوله تعالى {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ} (٦٠) يبرز شيئاً من هذا القبيل (٦١) .

المطلب الرابع : - واقعيّة القرآن الكريم فــي ذمّه لحملَة العلم الفاسقين : -

القرآن الكريم واقعيّ حينما لايعد مجرّد العلمية دليلاً على الصلاح والصدق ، وواقعيّ حينما يعد مسئولية العالم أكبر من غيره ، وواقعيّ حينما يعد موافقة العمل للقول دليل صدق القائل ، كما يقول تعالــى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ } {كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ }(٦٢) ، ويقول تعالــى {وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ } (٦٣) ، كما ان القرآن واقعيّ حينما يشبّه اليهود – أي حملَــة التوراة منهم غير العاملين بما فيها – بالحمار فــي الجهل والبلادة ، والذّلّ والحقارة ، بل أنهم أسوء حالاً لأنّ الحمار لا فهم لــه ، وهؤلاء لهم فهم ، ولكنهم لــم يستعملوها ، ولذا يقول تعالى في حقهم وحق امثالهم {أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ } (٦٤)، ووجــه التشبيه بين حملة التوراة ، والذين كلفوا للعمل بما فيها ، وبين الحمار ، أنّ الكلّ لم ينتفعوا بالمحمول ، فكما أنّ الحمار لا يدري الفرق بين الكتاب والزبل لعدم فهمه ، وبالتالي لا ينتفع بــه ، فكذلك هؤلاء لم ينتفعوا بالتوراة حينما لم يقيموها ، ولم يعلموا بموجبها (٦٥) .

ومثل اليهود في هذا كلّ أمة بما في ذلك أمة الإسلام إذا أهملوا القرآن الكريم ، ولم يعملوا بموجبه ، يصير مثلهــم كمثل الحمار ، كما يقول محمد قطب: ((أي : أن ألامّة التي لها كتاب ، ولا تطبّق كتابها في واقع حياتها هي مثل الحمار)) (٦٦) .

يقول تعالى في بيان ذلك {مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } (٦٧) ، فهذا المَثل من أعلى الأمثال بلاغة فَي الانطباق على من لا يستفيد من علمهِ (٦٨) .

وأساس الدّين ، ومنبع عظمــة المسلمين ومجدهم ، هو الإيمان والعمل ، كما قال تعالى {وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ } (٦٩) ، فليس في القرآن الكريم ، ولا في تعاليم الرّسول – صلى الله عليه وسلم – آية واحدة ، ولا حديث واحد يجعل سبيل السعادة مجرّد القول ، بل نراهما ينوطان النجاح دائماً بالإيمان والعمل ، وكان الرسول – صلى الله عليه وسلم – فعالاً قبل أن يكــون قوالاً ، وكان فعله أكثر من قوله ، فكان معّلماً للخير بفعل الخير ، إذ كان خلقه القرآن ، وكان داعياً للفضيلة بالفضيلة ، وكان قدوة في أعماله وأسوة بأفعاله ـ وكان يشترك مع اصحابه فيما يفعلون من شؤون الحرب وغيرها كأنه واحد منهم ، فينبغي على العلماء الوارثين لعلمه الواقفين على منبره أن يكونوا مثله ، كما يقول تعالى {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً } (٧٠) ، فهذا هو الواقعيّ والتعامل مع الواقع ، لأن يكون الإنسان قوّالاً بلا عمل ولا ثمر (٧١) .

المبحث الرابع : واقعيّة القرآن الكريم في تحليلاته للنفوس البشريّة :-

إنّ القرآن الكريم واقعيّ في قراءته للنفوس البشريّة ، وتحليلاته لها ، وتشخيصه للعلل الموجودة فيها أمام القضايا المختلفة ، ثم إعطائــه لها الدوّاء الناجح ، وكيف لا يكون كذلك ، وهو

كلام الله تعالى خالق الإنسان وغيره ، العالم بما يدور في خلده ، وأعماق نفسه ، وفيما يأتي عرض لبعض من النماذج القرآنية فـــي هذا الباب ، منها : -

المطلب الأول : - واقعيّة القرآن الكريم في نهيه الأزواج والأولياء عن منعهم المطلّقات والبنات عن التزوّج : -

نهى الله تعالى في القرآن الكريم عن واقع مرّ تعيشه المرأة العربية فـــي الجاهلية ، إذ أن الرجل كان يظلم المرأة التي ظلمها بتطليقها ، فيظلمها مرّة أخرى بمنعها عن الزواج ، اذ لا يراجعها بعد تطليقها ، ولا يدعهـا تتزوج بآخر ، فيسلبها حرّيتّها ، ويدعها معلّقة ، ليضّر بها ، فبعد أن دخل القرآن أعماق نفس هذا الزوج ، وبيّن نيّته السيّئــة تجاه المرأة ، منعه عن هذا الفعل الشنيع ، وخيّره بين أمرين : أما إمساك أمراته إمساكاً حسناً ما دام طلّقها طلاقاّ رجعياً ، أو تسريحها تسريحاً جميلاً ، بدون أن يظلمها ، ويهضم حقوقها ، كما قال تعالى {وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النَّسَاء فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلاَ تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً لَّتَعْتَدُواْ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلاَ تَتَّخِذُوَاْ آيَاتِ اللّهِ هُزُواً وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُمْ مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } (٧٢) .

وأختلف المفسرون فيمن هو المخاطب بهذه النواهي ، : فقيل : الخطاب للأولياء والازواج ، وقيل للناس كلّهم / أي : لا يوجد فيما بينكم هذا الامر ، فإنّه إن وجد بينكم ، وأنتم راضون به ، فإنكم كالفاعلين في الإثم ، لأن المجتمع ينبغي أن يكون متعاوناً فيما بينه فـــي الخير ، وناهياً عن الشر والظلم والطغيان (٧٣) .

المطلب الثاني : - واقعيّة القرآن الكريم في تجويزه لخطبة النساء في العدّة عن طريق التعريض والإشارة :-

لم ينكر القران الكريم علـــى الرجل والمرأة حبّها للنكــــاح والزواج ، بمقتضـــى فطرتهم ، التـــي فطرهما الله تعالـــى عليها ، من تركيب الغريزة الجنسيـــة ، فيهما ، ولكن طلب القرآن منهما أن يكونا منضبطين في ذلك ، لا يتعّديان حدود الشرع في ذلك ، ومن هنا دخل القرآن نفوس الرجال والنساء ، فأصاب ما هو مكنون في ضمائر بعض الرجال ، من حبهم للتزوج ببعض النساء اللاتي ما زلن فـي العدّة (وهي البائنة بينونـة كبرى) ، أي : التــــي ليس لزوجها الرجعة اليها ، فأباح تعالى للرجال هنا ان يعرض بنكاح مثل هذه المرأة ، وإن كانت في العدّة ، كأن يقول لها : ربَّ راغب فيكِ ، ومن يجد مثلك ، أو إن غرضـي أن أتزوج ، ونحو ذلك من الكلام الموهم أنّه يريد نكاحها ، حتى تحبس نفسها عليه إن رغبت فيه ، ولكن لايجوز له أن يصّرح بذلك ، خوفاً من ان تكتم المرأة العدة ، أو تعجلها وتقدّمها استعجالاً للزواج ، وهذا من قراءة القرأن الكريم للواقع الموجود في هذه القضايا(٧٤) .

أما التصريح بالرغبة في نكاح مثل هذه المرأة فحرام بالاجماع ، وأما إذا كانت المرأة المطلقة التي هي في العدة – رجعية ، فلا يحلّ لرجل أجنبي أن يعرّض بنكاحها ، إذ هي في حكم الزوجة لزوجها المطلّق ! وله أن يراجعها بمجّرد لفظ يفيد ذلك (٧٥) .

وقد صرّح الله تعالى بهذا في قوله {وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاء أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ عَلِمَ اللّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَـكِن لاَّ تُوَاعِدُوهُنَّ سِرّاً إِلاَّ أَن تَقُولُواْ قَوْلاً مَّعْرُوفاً وَلاَ تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىَ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ } (٧٦) .

فقد تعامل القرآن الكريم هنا مع ما هو خفيّ في نفوس الأدميين من إضمارهم فيها حب الزواج ببعض النساء المعتّدات ، فأباح لهم فيها بخطبتهن تعريضاً ، لا تصريحاً ، وهذا تعامل من القرأن الكريم مع الواقع الموجود في نفوس اولئك الرجال ، ومع ما هو موجود في ساحة الحياة ، بل مع اكثر الرجال وحسب تغير الزمان والمكان .

المطلب الثالث : واقعيّة القرآن الكريم في إعطائه الحرّية للإنسان لاختياره العقيدة والفكر في الحياة :-

إن الإسلام واقعيّ حينما يعطي الحرّية الكاملة للإنسان في اختياره للعقيدة والفكر ، التي هي أهم قضية في الحياة ، إذ لا اجبار ولا إكراه على الدخول في دين الحق ، وانما الإسلام يبين لهم الدين الحق ، ولا يسمح للأخرين بتشويهِهِ وسدّ الطريق أمام نشره ، وهذا من حقه المشروع ، كما لو رشّح واحد نفسه للرئاسة ، فله كلّ الحق في إعلان مبادئه وبرامجه ، وما يريد أن يفعله أذا علا كرسيّ الحكم ، وليس لأحد أن يعترض الطريق أمامه ، فإذا ما أعترضو طريقُه ، فله حق الدفاع عن نفسه وحقوقه ، وكذلك الإسلام يعرض منهجه ، ثم يقول لا إكراه في الدين ، كما يقول تعالى {لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } (٧٧) ، وقال تعالى { فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ} (٧٨) ٠

والقرآن الكريم واقعي في إعطائه هذه الحرية للإنسان ، لأنه هو الذي كرّم الإنسان بقوله {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ } (٧٩) ، ومن مقتضى تكريمه للإنسان إعطاؤه الحرية والإرادة والقدرة على اختيار أفعاله ٠

ولا يوافق الواقع الإكراه على اختيار الدين ، لأن الإيمان إذعان وخضوع ، وتصديق بالقلب ، ولا يكون ذلك بالإلزام والإكراه ، وانما يكون بالحجّة والبرهان والإقناع ، وكفى بهذه الآية حجّة على من زعم من أعداء الدّين ، بل من أوليائه ، ومنتسبيه أنّ الإسلام لم يقم ألاّ والسيف ناصره ، فكان يعرض على الناس ، فإن قبلوه نجوا ، وإن رفضوه حكم فيهم السيف حكمه ، وهذا من الافتراءات على الإسلام ، الذي هو منها بريء براءة الذئب من دم يوسف ن والتأريخ شاهد صدق على كذب هذا الافتراء (٨٠) ، بل الواقع الموجود في الدول الإسلامية ، وبين المجتمعات المسلمة ، خير شاهد على كذب هؤلاء ، اذ لايزال يعيش في هذه الدول – التي حكمها الإسلام طوال قرون عديدة – أنواع من الديانات ، يمارس أهلها عباداتهم وطقوسهم الدّينيّة في معابدهم بحرّية ، ولو كان الإسلام قام بالسيف لم يكن يدع تلك الديانات تبقى في ديار المسلمين ٠

المطلب الرابع :- واقعيّة القرآن الكريم في إثباته لغريزة حبّ الاستطلاع عند الإنسان :-

إنّ القرآن الكريم واقعيّ حينما يعترف بوجود ملكة غزيرة حبّ الاستطلاع ، ومعرفة ما هو مجهول لدى الإنسان ، اذ يحاول دائماً أن يكشف ما هو غائب عنه ، وخارج عن قدرته ، ولذلك قطع القرآن الكريم طمع الإنسان عن أن يحاول معرفة ما هية وكنه وحقيقة ذات الله تعالى ، حينما قال {وَمَا قَدَرُواْ اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ } (٨١) ، وقال {لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ } (٨٢) ، { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ} (٨٣) ، وهذا تأكيد منه تعالى بوجود هذا الامر لدى الإنسان ٠

ولكن القرآن الكريم لا يمنع الإنسان عن متابعته لهذه الغريزة بل يحثه على استكشاف اسرار الكون وما في نفسه ، حينما يقول تعالى {قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ } (٨٤) ، ويقول {وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ } (٨٥) ، بشرط أن يكون ذلك في حدود مقدوره الجسدي والعقلي والعلمي ٠

ونجد أن الله تعالى لا ينكر على المارّ بالقرية الذي يقال : إنه كان عزيراً – عليه السلام – وكانت القرية بيت المقدس – حينما يريد أن يرى كيفية إحياء الله تعالى لأهل هذه القرية الخالية على بيوتها وابنيتها ، فهو وإن كان مؤمناً بقدرة الله تعالى على هذا الأمر ، اذ أنّه كان نبياً – عليه السلام – ولكنه يحبّ أن يرى ذلك بعينيه ، وهذا هو الواقع لدى الإنسان في حبه للاستطلاع على الأمور الغيبيّة ، فهنا نجد الله تعالى يستجيب لرغبته حينما يميته مائة عام ، ثم يبعثه بعد ذلك ويبعث أمام

عينيه حماره الذي كان يركبه ، حتى بينّ له تعالى هذا ألامر الخفيّ ، واعترف بعد ذلك وأيقن عن عين اليقين بقدرة الله تعالى على كل شيء ، ويقول تعالى عن ذلك {أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىَ يُحْيِي هَـَذِهِ اللّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }(٨٦) .

المطلب الخامس :- واقعيّة القرأن الكريم في تصويره لمضاعفات الحسنات : -

نهج القرأن الكريم منهج تصوير الغائب وتقريبه وجعله منصوباً أمام ألاعين ، حتى يزداد اليقين به ، وكذلك حينما يأمر بعمل صالح ، نجده تعالى يشّجع عليه ، ويعد بالثواب الجزيل ، ويمثّل لذلك بأمثلة واقعية من الحياة ، حتى يقرّب بذلك الثواب الغيبية إلى عقولنا ، وهذه قراءة قرآنية للنفوس البشّرية ، وتعامل واقعيّ معها بمقتضى طبيعتها ، التي تحب الازدياد والمضاعفة في الثواب ، وهكذا ينهج حينما ينهى عن الفواحش والمنكرات ، فإنّه تعالى يمثّل العقاب عليها بالمحسوس القريب ، حتى يرتدع الجاني والعاصي عن الشّر ، كلّ ذلك لكي يستطيع الإنسان أن يفهم الثواب والعقاب ، ويعقّلها .

ومن ذلك تمثيل القرأن الكريم لمضاعفة الحسنات ، وما ينفق في سبيل الله تعالى ، بالحبة التي تنبت سبع سنابل في كلّ سنبلة مائة حبة فيصير المجموع سبعمائة حبة حصاد حبة واحدة ـ وهكذا تضاعف الصدقات في الدنيا والأخرة ، كما يقول تعالى {مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ }(٧٦) .

وإذا قال البعض : كيف يصحّ التمثيل بمثل هذا الأمر الذي لم نجده في حياتنا ، قلنا : بلى إن ذلك موجود في بعض الحبوب كالذرة وغيره ، وعلى تقديرعدم وجوده – كما زعم – فهو غير مستحيل الوقوع ، وما لايكون مستحيلاً ، يجوز ضرب المثل به (٨٨) .

وقام بعض اعضاء الجمعية الزراعية بمصر في مزارع القمح ، التي تمتلكها للتفتيش النموذجي وغيره ، فعنوا بتطبيق هذا المثل القرأني علميّاً ، فوجدوه واقعاً كما ذكر القرأن الكريم ، كما عثر في عام : (١٩٤٢ م) أحد مفتّشي الجمعيّة على سنبلة أنبتت سبعاً ومائة حبّة ، وعرض نتيجة بحثه على الاخصائيين من رجال الجمعية وغيرهم في حفل جامع أقيم بهذه المناسبة (٨٩) .

المطلب السادس :- واقعيّة القرأن الكريم في بيانه بأن مَنّ المتصدّق وأذاه على المتصدّق عليه يبطلان ثواب صدقته :-

إنّ القرأن الكريم كرّم الإنسان ، وسخرّ له ما في السموات وما في الأرض ، يحافظ على هذه الكرامة ، ولا يدع الآخرين أن يسقطوها ويهينوها ، إذا كانوا أغنياء وأصحاب نفوذ ، بدافع التصدّق على الضعفاء والمساكين ، لأن الدنيا جعلها الله دار ابتلاء وامتحان ، فقد يعسر على أحد ، ويغنى آخر ، كلّ ذلك امتحاناً لهما ، ليظهر الشاكر والصابر من الكافر وغير القانع والراضي بتقسيم الله تعالى .

ومن هنا ينادي الله تعالى المؤمنين المتصدّقين والمحسنين بان يكونوا حذرين من أن يتسبّبوا في ابطال صدقاتهم ، وذلك عن طريق المنّ على الفقير وأذيته بالكلام حينما يطلب المال ويسال ، فبيّن تعالى ان ذلك يبطل الصدقة ، وهذا تعامل للقرأن الكريم مع الواقع والموجود في ميدان الحياة ، كما هو مراعاة للمحافظة على الكرامة الإنسانية من أن يستهان بها ، وقراءة لأعماق النفس البشريّة كيف أنها تتأثّر وتتأذّى حينما يمن عليها بالصدقة ، كما أشار إلى ان هناك من يتصدّق رياءً

، ولكي يمدح بأنّه جواد ومحسن ، فبين ان ثواب هذا يحبط أيضاً ، ومثل لذلك بحجر ملساء عليه تراب ، ويصيبه مطر شديد فيتركه خالياً ليس عليه شيء ، كما يقول تعالى في ذلك {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاء النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ } (٩٠) .

المطلب السابع :- واقعيّة القرأن الكريم في نهيه الناس عن غيبة الأخرين والاستهزاء بهم :-

سلك القرأن الكريم مسلك نشر الأخوة والسلام والوئام والمحبّة بين كلّ أفراد المجتمع في كلّ أحكامه وادابه وتعليماته ، وحرص كثيراً على حفظ وحدة صف المسلمين في كلّ المجالات ، ومن أجل ذلك نهى عن الغيبة والسخريّة والاستهزاء بينهم ، وكذلك عن التجسس ،وإساءة الظّن ،وتتبّع العورات ، ونشر العيوب والمعايب ، كما أمر بكلّ ما يجلب المحبّة والسلام ، من المعاملة الحسنة ، والاحترام المتبادل ، كلّ ذلك تعامل من القرأن الكريم مع الواقع الموجود ، اذ لايخفى تأثير هذه المنهيات على العلاقات الاجتماعية والدولية ايجاباً (٩١) ، كما قال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ } (٩٢).

فحينما ينهى القرأن الكريم عن السخرية والاستهزاء بين الرجال والنساء ، يتضمن ذلك النهي الخروج عن الواقع ، اذ قد يكون المسخور بهم عند الله تعالى خيراً من الساخرين بهم ، أو قد يكون المحتقر أعظم قدراً عند الله تعالى وأحبّ إليه من الساخر منه المحتقر له (٣٢) .

كما نجد إن القرآن الكريم راعى الواقع وما هو موجود بين الناس في سموّ ترتيبه في سرد الأداب العامة ، إذ جعل الله تعالى أحد اسباب وقوع النزاع والاقتتال بين الطوائف والأفراد هو الاستماع لأنباء الفاسقين ، ثم نهى عن الأخلاق المرذولة ، التي ينشأ عنها النزاع ، ثم أعلن الوحدة الانسانية في ألاصل والمنشأ ، كل ذلك من اجل الحفاظ على وحدة الأمة الإسلامية (٩٤) .

الفصل الثاني : واقعية القرأن الكريم في تعامله مع الأحداث التأريخيّة ، وفي بيانه للدلالات العلمية والطبية الدالة على صدقه ، وفي بيانه لأحوال الناس وتعاملهم مع الأحداث ، وفي تصويره طبائع الناس

وفيه أربعة مباحث : -

المبحث الأول : واقعيّة القرأن الكريم في تعامله مع الأحداث التأريخية .

المبحث الثاني : واقعيّة القرأن الكريم في بيانه الامور العلمية والطبيّة الدالة على صدقه .

المبحث الثالث: واقعيّة القرأن الكريم في بيانه لأحوال الناس وتعاملهم مع الأحداث .

المبحث الرابع : واقعيّة القرأن الكريم وفي تصويره لطبائع الناس .

المبحث الأول :- واقعية القرأن الكريم في تعامله مع الأحداث التأريخية :-

إن القران الكريم واقعيّ في حكايته للأحداث والوقائع الثابتة في التأريخ ، بحيث نجده يحكيها كما وقعت ، مبيناً ما فيها من الحوارات ، والاستدلالات ، ومن هو غالب أو مغلوب ، وما فيها من الدوافع ، والأحداث والغايات ، والصبر والعظات ، كما يظهر كلّ هذا فيما يأتي :-

المطلب الأول :- واقعيّة القرأن الكريم في بيانه حوار إبراهيم – عليه السلام – مع نمرود :-

يبينّ القرأن الكريم واقعيّة سيدّنا إبراهيم – عليه السلام – وذكائه في حواره مع نمرود ، الذي كان يدّعي الألوهية ، بسبب طغيانه وتجبّره بعد أن اتاه الله تعالى الملك والسلطنة (٩٥) ، إذ استدلّ إبراهيم – عليه السلام – على ألوهية الله تعالى وقدرته بأنه يحيي الخلق من غير شيء ، ثم يميتهم ، فكان هذا حجّة داحضة ، اذ أن نمرود الذي كان إنساناً ضعيفاً أمام قوة الله تعالى يعلم في قرارة نفسه أن هذا غير مقدور له ، ولكنه لبلادته وعدم واقعيته قال أنا أحيي وأميت أيضاً ، فدعا لذلك محكومين عليهما بالإعدام ، فعفى عن أحدهما ، واطلق سراحه ، وقتل الآخر، مدّعياً إن ذلك أحياء منه وإماتة ، وإبراهيم - عليه السلام - يعلم أن ذلك بعيد عن العقل السليم في الاستدلال ، ولكنه أراد أن يكون أكثر واقعية في استدلالاته وإفحامه لخصمه ، حيث أصابه في الصميم ، وجعله حيران ، منقطع الحجة ، مطأطيءالرأس أمام الواقع الموجود والملموس ، الذي لا يستطيع أحد إنكاره ، يقول تعالى في ذلك {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ }(٩٦) .

المطلب الثاني :- واقعيّة القران الكريم في بيانه لطلب إبراهيم – عليه السلام – أن يريه تعالى كيفية إحيائه للموتى :-

يحكي القرأن الكريم طلب سيدنّا إبراهيم – عليه السلام – من ربّه تعالى أن يريه كيفيّة إحيائه للموتى يوم البعث ، فبيّن أنّ إبراهيم – عليه السلام – كان واقعياً حينما أظهر ما يجبّ في قلبه أن يطّلع عليه ، ويراه بعين اليقين ، وإن كان يؤمن به في قرارة نفسه ، ولكنه يحاول ان يزداد إيماناً ، ويطمئن قلبه بذلك ، وهنْا قد ساله تعالى بواقعيّة : أولم تؤمن بذلك يا إبراهيم ، فأجاب - عليه السلام - : بلى أومن بذلك ، ولكن ليطمئن قلبي ، وحينئذ أراه الله تعالى إحيائه للموتى في الدنيا ، اذ أمره بأخذ اربعة من الطير ، وأن يذبحهن ، ويقطّعهنّ أجزاء ، ثم يجعل على كلّ جبل من حوله جزءاً من هذه الأجزاء ، ثم يدعهن ، فيأتينه سعياً، ففعل إبراهيم – عليه السلام - ذلك ، وكان ماذكره تعالى بقوله: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِـي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَـكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }(٩٧) .

المطلب الثالث :- واقعيّة القران الكريم في اعتماده على الحسّ في بعض القضايا التأريخية :-

اعتمد القرآن الكريم في بيانه لإثبات بعض القضايا التاريخية على الحسّ والمشاهدة ، الذي لا يستطيع أحد إنكار ما يثبت عن هذه الطريقة ، لأن الوجود أكبر دليل على الوقوع ، وهذا من واقعيّة القرأن الكريم ، الذي لايذكر الأشياء من غير دليل ، ومن هذا إخباره تعالى عن إنجائه لبدن فرعون بعد ما أغرقه الله تعالى في البحر قبل الآف السنين ، وقد كان ذلك ، فطرحه البحر بعد أن ادركه الغرق ، وهو الأن موجود صحيح في المتاحف المصرية ، ويذهب الناس ليبصروا بعيونهم ما أخبر به القرأن الكريم ، كما يقول تعالى {فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ } (٩٨) ، فبعد أن شكّ بعض بني إسرائيل في موت فرعون ، أمر الله تعالى البحر أن يلقي بجسده بلا روح ، وعليه درعه المعروفة به ، على مكان مرتفع من الأرض ، ليتحققوا من موته وهلاكه ، بعد أن يروه بأعينهم ، وهذا من واقعيّة القرأن الكريم ، حيث بيّن استجابة الله تعالى لما يطلبه بنواسرائيل التأكد من غرق وهلاك فرعون ، الذي كان يدّعي الألوهية فأبقى الله تعالى جسده بعد أن قذفة من البحر ، لكي لايشك أحد في موته وهلاكه (٩٩) .

المبحث الثاني :- واقعيّة القرأن الكريم في بيانه الامور العلميّة والطبية الدالة على صدقه :-

إنّ القرأن الكريم الذي هو معجزة الإسلام الخالدة ، هو كتاب هداية اولاً وقبل كلّ شيء ، ولكن مع ذلك فإن فيه دلالات علمية وطبيّة وكونية تدلّ على صدقه ، وكونه منزّلاً من عند الله تعالى ، ولكنّ ذلك لا يعني أن القرآن معجزة من هذه النواحي فقط ، لأنه لم يتحّد الناس بهذه العلوم والاكتشافات ، وان كان إخباره بوقوعها قبل أكثر من ألف سنة دليلاً على صدقه ، وكونه من عند الله تعالى العليم الخبير ، وفيما يأتي عرض لبعض هذه الدل

المطلب الأول :- واقعيّة القرأن الكريم في بيانه للدّلالات العلمية في خلق الله تعالى للسماوات والأرض وما فيهما :-

بيّن القرأن الكريم بواقعيّة كيفية خلق الله تعالى للنبات والثمار ، وكيفيّة خلقه للإنسان ، التي تدلّ على وحدانيته وقدرته ، كما قال تعالى {إِنَّ اللّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ } (١٠٠) .

كما بيّن القرأن الكريم وفق الواقع أحوال الصبح والليل والنهار والشمس والقمر ، وكيف جعل الله تعالى لكلّ ذلك حساباً ونظاماً دقيقاً ، لا يتجاوز شيء منها ما قدّر له تعالى ، ونجد الواقع يصدّق مقول القرآن ، كما قال تعالى {فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَاناً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ } (١٠١) .

كما بيّن القَرأن الكريم ان الله تعالى جعل لنا النجوم في السموات ، لنهتدي بها في ظلمت البرّ والبحر، فلا نضلّ في الطرق والصحراء ، ولا نتيه فيها ، وبين تعالى أن العلماء هم الذين يستفيدون من هذه الأيات والعلامات ، قال تعالى {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ } (١٠٢) .

ثم بين القرآن بواقعيّة وصدق أن الإنسانية ترجع إلى نفس واحدة ، وأن الله تعالى جعل للإنسان نظاماً في حياته ومماته ،إذْ يمرّ بمراحل في بطن أمّه وبعد ذلك إلى ان يموت ويدخل القبر ، قال تعالى {وَهُوَ الَّذِيَ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ } (١٠٣) . ثم بين القرآن الكريم كيفية إنزال الله تعالى ماء من السماء ، وأنه تعالى وحده هو القادر على ذلك ، وانه تعالى وحده هو الذي يخرج النبات والزروع من الأرض ، ولا أحد غيره يقدر على ذلك ، ثم بعد ذلك يطلب تعالى من المؤمنين أن ينظروا إلى الثمار والنبات ، لكي يتّعظوا ويعتبروا ، ويستدلّوا بذلك على قدرة الله تعالى ووحدانيته وهذا من واقعية القرآن الكريم ، اذ ما أخبر به هو الواقع والموجود ، قال تعالى {وَهُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُّتَرَاكِباً وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُواْ إِلِى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } (١٠٤) .

ثم يبيّن القرآن الكريم بعد بيانه كلّ هذه الدلالات عى وحدانية الله تعالى ، أنّ هناك طائفة من الناس أشركوا بالله تعالى ، اذ جعلوا له شركاء من خلقه ، من الجن ، والشمس ، والقمر ، والنجوم ، وغيرها ، كما جعلوا له - تعالى وتقدّس – بنين وبنات من الأنبياء والملائكة ، قال تعالى {وَجَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُواْ لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ } (١٠٥) .

ثم يبين القرآن الكريم بواقعيّة أن الله تعالى بعيد عن كلّ هذه الأوصاف ، التي لا تليق بعظمته تعالى ، اذ هو بديع السموات والأرض ، وهو الذي ليس كمثله شيء ، كما قال تعالى {بَدِيعُ

السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } (١٠٦) .

المطلب الثاني :- واقعية القرأن الكريم في بيانه للدّلالة الطبية في قصة يونس- عليه السلام - :-

بالإضافة إلى ما في قصة يونس – عليه السلام – من تعليم الله تعالى لنا بأن نكون واقعيين في التعامل مع الأمراض ، بأن نستعمل الأسباب من الأدوية وغيرها ، ثم نطلب الشفاء من عند الله تعالى ، وأن ذلك لا ينافي التوكل ، بل هو جزء منه ، كما أنه لا ينافي الإيمان والتسليم للقضاء والقدر، بل أن ذلك جزء من القدر ، فالحذر أيضاً من القدر ، وليس الإيمان بالقدر هو التسليم للأمراض والمصائب دون معالجتها ، هذا هو الذي أراد الله تعالى أن يعلّمنا من قصة يونس – عليه السلام – حينما نبذه بالعراء ، بعد أن أخرجه من بطن الحوت ، ثم أنبت عليه شجرة من يقطين ، كما قال تعالى {فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاء وَهُوَ سَقِيمٌ } ، {وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ } (١٠٧) ، وهذا هو الواقع ، والتعامل معه ، دون أن نتكاسل ، ونتجاهل الأسباب ٠

الإضافة الى كل هذا الموجود في هذه القصة من الواقعية ، فإن فيه دلالة طبية وعلمية ، حينما أنبت تعالى على يونس – عليه السلام – حينما طرحه بالأرض الخالية عن الشجر والنبات ، وهو كان عليلاً ، لم تبقى له قوة ، اذ أنبت عليه تعالى شجرة القرع والدّباء المناسبة لمعالجة حالة يونس – عليه السلام – هذه ، وقد أثبت الطب هذا ، اذ أن في شجرة القرع فائدة وهي : أن الذباب لا يجتمع عندها ، فكان يونس – عليه السلام – يستظّل بتلك الشجرة ، حتى أشتّد لحمه ، ونبت شعره ، وقوي (١٠٨) ، وكان هذا واقعياً حينما أنبت عليه شجرة مناسبة لحالته ٠

المطلب الثالث :- واقعيّة القرأن الكريم في بيانه للدلالات العلمية في الكون والآفاق

وعد الله تعالى خلقه أن يريهم من أياته وعلامات وحدانيته يوماً بعد يوم ، وذلك في الكون والأفاق ، والأنفس البشرية ، حتى يتبيّن للجميع أن هذا القرأن حق وصدق ، وقد أنجز تعالى وعده هذا ، حيث يكشف العلم يوماً بعد يوم أيات كبرى على قدرة الله تعالى كما وعد ، كلما تقدّم العلم ، يظهر صدق هذا القرأن وواقعيته ٠

قال تعالى {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ } (١٠٩) .

وهذا كلام صريح في أنّ الله تعالى قد اودع في مخلوقاته العلوية والسفلية أسراراً وعجائب ، وكشف للعقل البشري عن بعضها بقدر ما كان لديه من وسائل علمية ، وأدوات تجريبية ، وقد بقي كثير منها محجّباً في ضمير الغيب ، ولكن الله تعالى وعدَ بالكشف عنها عن طريق هذا العقل كلّما استقامتْ له وسائل علمية جديدة ، وهذه العجائب والآيات الموعود بالكشف عنها في مستقبل زمن الخطاب المباشر بالقرأن يجب أن تكون غير الأيات المشهورة لأولئك المخاطبين ، كالليل والنهار ، والشمس والقمر ، والنجوم ، والسماء والارض ، فهي إما خصائص في هذه الأيات المشهورة لم تصل إليها عقول الماضين ، أو أيات في عوالم أخرى ، يخلقها الله ، ويكشف عنها العلم يوماً بعد يوم (١١٠) .

والذي أخبر به القرآن الكريم هو الواقع ، فكلّما تقدّم العلم ، يكشف ما يدل على صدق القرآن ، وموافقة أخباره للواقع ، حيث أذا أردنا أن نعرف شيئاً عن معجزة القرأن ، فلننظر ماذا قال عن الكون وكروية الأرض ودورانها حول نفسها ، وما يحدث في أعماق البحار ، وغير ذلك ممّا لم يكتشف الاّ في القرن العشرين ، ولننظر كذلك إلى مراحل تكوين الجنين ، ومراكز الأعصاب في الجسد البشري ، وتكوين الأذن والعين ، وغير ذلك من إعجاز لا يمكن أن يتحدّث عنه بهذه الدّقة الاّ خالقه ، وهذا ما شهد به علماء نبغوا في علومهم ، بينما هم منكرون للإسلام

وللقرآن ، وهذه الحقائق العلمية التي أخبر عنها القرآن الكريم ، لا يستطيع أحد إنكارها ، لوقوعها ووجودها ، وهذا يثبت واقعية القرآن الكريم (١١١) ٠

المبحث الثالث : - واقعية القرأن الكريم في بيانه لأحوال الناس وتعامله مع الأحداث : -

يبيّن القرأن الكريم أحوال الناس مع الاحداث التي تواجههم بواقعية ، كما وقعت بمقتضى طبعهم الإنساني ، تعليماً منه تعالى للإنسان بأنه كيف يواجه الأحداث العظام ، ويتعامل معها بواقعية حتى لايلام عند الله تعالى وعند الناس ، كما يبيّن بذلك عمق النفس الإنسانية في حبّها لبعض الأشياء ، وتطلّعه إلى إدراكها ، وتأثير بعض الأشياء الأخرى على النفوس الإنسانية ، كلّ ذلك يعرفنا بواقعية القران الكريم في بيانه لأحوال الناس تجاه الوقائع ، وفيما يأتي بيان لذلك ٠

المطلب الأول : - واقعية القرأن الكريم في بيانه لتحسّر أمّ مريم - عليها السلام - على ولادتها لأنثى : -

يبيّن القرأن الكريم دعوة وطلب إمرأة عمران من الله تعالى أن يهبها ولداً ذكراً ، لتجعله خالصاً لخدمة البيت المقدس ، فكانت تكاد تجزم من شدّة تمنّيها بأن الله تعالى يهبها ذكراً ، ولكّنها بعد ذلك فوجئَتْ أنها بأنثى ، وكان موقفها واقعياً حينما وجدت مافي بطنها أنثى ، فتحسّرت لذلك ، لكون الأنثى لا تليق بخدمة البيت المقدس ، كما قال تعالى عن ذلك {فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وِإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ} (١١٢) ٠

يقول محمد قطب : ((وهنا نقف مع إمرأة عمران تدعو وهي تكاد تجزم - بمشاعرها – من شدّة التمني ، أن يكون مافي بطنها ذكراً فتهبه للمعبد ، ونستطيع أن نتصوّر الصدمة والمفاجأة حين وضعتها أنثى ، فتنادي ربّها {إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى} (١١٣) ، هذا على القول بأن ذلك (وليس الذكر كالأنثى) من قول ام مريم ، وتكون بذلك واقعية حينما أدركت الفروق الكثيرة الموجودة بين الجنسين ، من حيث الجسد والقوة ، مماجعلت الرجل يفوق المرأة في شؤون الحياة ، وهذا ما نحس به في الواقع ، وهذا لا يعني التنقيص من شأن المرأة وقدرها ٠

وعلى هذا فإن تقديم الذكر على الأنثى كان لامتلاء خيالها بالولد الذكر ، كما يقول محمد قطب : ((لقد كان الإنسان يتصوّر أن تقول : وليست الأنثى كالذكر ! فيكون الكلام منطقياً مع الواقع ! ولكن امتلاءخيالها بالولد الذكر الذي كانت ترجوه هو الذي يجعلها تقدم الذكر على الأنثى ، وكأنها تقول : ((وليس الذكر الذي تمنّيتُه لأهبه للمعبد ، كالأنثى التي وضعتها ، ولأيمكن أن توهب للمعبد)) (١١٤) ٠

أما على القول بأن هذا الكلام (وليس الذكر كالأنثى) من كلام الله تعالى ، فمعناه : أنّ رجلاً من الرجال لايصل في هذه المهمة إلى مرتبة هذه الأنثى التي اصطفاها لأمر أراده بعد ، وقد قصد تعالى بذلك تخطئة إمرأةً عمران في تحسرها على أنـّها وضعت أنثى ، وفي ظنها أن الرجل هو المقبول دون الأنثى (١١٥) ٠

فالمعنى على هذا : أن الذكر الذي طلبته ليس كالأنثى التي وهبتها لك ، بل هذه الأنثى أفضل منه ، كما ظهر بعد ذلك (١١٦) ٠

وكان المعنى واقعاً حيث صارت الأنثى (مريم) اماً لنبي الله تعالى عيسى – عليه السلام - ، وأنبتها الله تعالى نباتاً حسناً ، فقد تولى الله تعالى تربيتها ، فربّاها تربية كاملة ، ونشـّأها تنشئة صالحة ، وهذا بيان قرأني للواقع والموجود ، مما للتربية من تأثيرات إيجابية في نموّ الطفل وأخلاقه كما قال تعالى {فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا

دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَـذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ إنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ } (١١٧) .

المطلب الثاني : - واقعية القرآن الكريم في بيانه لطلب زكريا – عليه السلام- من ربّه آية على حمل زوجه :-

قد بيّن الله تعالى واقعية سيدنا زكريا – عليه السلام – حينما طلب من ربه تعالى أن يجعل له آية وعلامة على حمل زوجه العاقر بيحيى ، لكي يطمئنّ على حدوث هذه المعجزة ، وهذا من طبع الإنسان المتطلّع إلى معرفة الأمور قبل حدوثها ، كما قال تعالى {قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّيَ آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزاً وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيراً وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ } ، جاء في صفوة التفاسير بيان هذه العلامة هكذا : ((أي : علامتك عليه أن لاتقدر على كلام الناس إلاّ بالإشارة ثلاثة أيّام بلياليها مع أنّك سويٌّ صحيح ، والغرض أنه يأتيه مانع سماوي يمنعه من الكلام ، ولم يمنع عن الذكرلله والتسبيح له ، وذلك أبلغ في الإعجاز)) (١١٨) .

وقد تحدّث تعالى عن تفاصيل هذه القصة بقوله {يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيّاً } ، {قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيّاً } ، {قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً } ، {قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيّاً } (١١٩) .

المطلب الثالث : - واقعية القرآن الكريم في ربطه الأسباب بالمسبّبات : -

إنّ القرآن الكريم في قمّة الواقعيّة حينما يربط الأسباب بالمسبّبات ، ويحثّ على الأخذ بالأسباب ، ثم الاعتماد على الله تعالى ، فيعدّ الأخذ بالأسباب جزءاً من التوكل ، وهناك عدة أيات تشير إلى ذلك ، منها :

١- قوله تعالى {ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاساً يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لاَ يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ } (١٢٠) .

فحينما ننظر في هذه الأية الكريمة نجد فيها أن الله تعالى يطلب فيها الجهاد والقتال من المسلمين لنصر الدين ، وان كان الله تعالى يستطيع أن ينصر الدين مباشرة ، وبدون دعم من أحد ، ولكنه تعالى يريد أن نكون واقعيين في ذلك ، بأن نتعامل مع الأسباب .

كما أن في الآية أن الله تعالى أنزل على المؤمنبن نعاساً ليستريحوا من الغّم الواقع بهم في ساحة الحرب ، أخذاً بالأسباب ، وجرياً مع العرف والواقع ، مع كونه تعالى قادراً على أن يريحهم بدون النعاس .

٢- قوله تعالى {وَقَالَ يَا بَنِيَّ لاَ تَدْخُلُواْ مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُواْ مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ } ، {وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللّهِ مِن شَيْءٍ إِلاَّ حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ } (١٢١) .

يعترف القرآن الكريم بشيء واقعيّ وموجود بين الناس ، ويحسّون به يوميا فيما بينهم ، ويشير إلى الاحتراز منه ، والحذر من الوقوع فيه ، وهو العين والحسد ، التي ثبت علمياً ضرره وتأثيراته السلبية على المعين والمحسود ، ولذا نجد القرآن الكريم ينقل لنا

نصائح نبي الله يعقوب عليه السلام - لبنيه بأن لا يدخلوا الى مدينة مصر من باب واحد ، لئلا تصيبهم العين ، لجمالهم وكثرتهم ، فقد نقل القران الكريم هذه النصيحة كمثبت لهذه الظاهرة السلبية ٠

وبعد ذلك يبّين القرآن الكريم على لسان نبيّ الله يعقوب ـ عليه السلام ـ أنّه ليس هناك مانع من تنفيذ ما يريده الله تعالى ، فلا رادّ لقضائه ، مهما أخذ بالأسباب ، ولكنّه تعالى يحثّنا على الأخذ بالأسباب ، ثم التوكل على الله تعالى ، وقد أكد الله تعالى هذا المعنى بقوله{وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللّهِ مِن شَيْءٍ إِلاَّ حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ}(١٢٢) ٠ وهذا من إقرار القرآن الكريم لما هو موجود ٠

٣- قوله تعالى {وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً } (١٢٣) ٠

قد حثّ القرآن الكريم هنا الإنسان من خلال قصة مريم ــ عليها السلام على أمر واقعيّ ، وهو السعي والحركة لطلب الرزق ، وفهم أن الله تعالى لاينزل من السماء ذهباً ، وانّما لا بدّ من ألاخذ بالأسباب ، كما أمر تعالى مريم ــ عليها السلام ــ في أحرج أوقاتها (وهو وقت المخاض بهزّ جذع النخلة لتساقط عليها رطباً جنياً ، مع أن ذلك كان ممكناً في قدرة الله تعالى بدون هز النخلة ، ولكنه تعالى يريد منا أن نكون واقعيين في الحياة الدنيا ٠

يقول محمد متّولي الشعراوي :((٠٠٠كما أن الحقّ سبحانه قادرعلى أن ينزل لها طعامها دون جهد منها ، ودون هزّها ، إنّما أراد سبحانه أن يجمع لها بين شيئين : طلب الأسباب ، والأعتماد على المسبب ، الأخذ بالأسباب في هزّ النخلة ، رغم أنها متعبة ، قد أرهقتها الحمل والولادة ، وجاء بها إلى النخلة ، لتستند إليها ، وتتشبّث بها في وحدتها ، لنعلم أنّ الإنسان في سعيه مطالب بالأخذ بالأسباب مهما كان ضعيفاً ، لذلك أبقت مريم اتخاذ الأسباب مع ضعفها ، وعدم قدرتها ، ثم تعتمد على المسبّب سبحانه الذي أنزل لها الرطب مستوياً ناضجاً)) (١٢٤) ٠

فظهر أن الله تعالى يريد من الإنسان أن يأخذ بالأسباب ، مهما كان ضعيفاً ، ثم يعتمد على ربّ الأسباب (١٢٥) ، وهذا من واقعية القران الكريم ، وقد غلط البعض حينما رأوا أن من الزهد ترك الدنيا والكسب والأخذ بالأسباب ، وبذلك تركوا الدنيا للسفهاء ، والجهلاء أن يملكوها ، ويحكموا على العباد والبلاد ، وبذلك أضاعوا الدين والدنيا ، وهذا من فهمهم الخاطيء للواقعية في القرأن الكريم (١٢٦) ٠

٤- قوله تعالى {وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ } ، {ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ } (١٢٧) ٠

يتحدّث القرأن الكريم عن سيدنا أيوب ــ عليه السلام ــ بواقعية ، من حيث أمر الله تعالى أن يأخذ بالأسباب ، فيركض برجله الأرض ، لينبع من تحتها عينان ، فيغتسل من أحدهما ، ويشرب من الأخر ، حتى يشفيه الله تعالى بعد ذلك من مرضه ، ويبرأه من علتّه ، وذلك كاستعمال منه ــ عليه السلام ــ للدواء الذي أمره الله تعالى به كأخذ بالأسباب ٠

يقول الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي : ((٠٠٠ لاتنسوا أنّ في الكون أسباباً ماديّة وغير ماديّة ، يجب أن نتعامل معها ! لأن الله عزّ وجلّ أمرنا بذلك : أي يجب أن نستنبت الأرض بواسطة الأمطار ، ويجب أن نستعمل الأدوية من أجل التخّلص من الأدواء والأمراض ٠٠٠ إذن نتعامل مع الأسباب في حماية أنفسنا ، وفي رعاية حياتنا ، وفي البناء الحضاري بكّل أنواعه ، ولكن يجب علينا أن نعلم أنّه لا توجد أيّ فاعليّة في هذه الأسباب ، إنّما الفاعلية أتية من عند الله عزّ وجلّ ، غير أننا نحترمها ، ونتعامل معها تنفيذاً لأمر الله الذي ربط بين هذه الأسباب وبين نتائجها بخلقه وتدبيره)) (١٢٨) ٠

٥- قوله تعالى {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } (١٢٩) ٠

هذه الأية الكريمة تصف الواقع الذي نعيشه في البرّ والبحر ، حيث نحسّ بالفساد من انتشار الأوباء ، والأمراض ، وتلّوث البيئة من الهواء ، والماء ، والتراب ، والبحار ، حتى تضررّت الحيوانات في البحار ، كلّ ذلك بسبب ما تحدثه أيدي الإنسان ، من الظلم ، والأستبداد ، وقهر العباد و

احتلال والبلاد ، ونشر الفواحش والمنكرات ، وإظهار العداوة مع الله تعالى ورسله ودينه ، فنتج عن كل ذلك ما نراه من الويلات على الناس جميعاً ، التي وصفها تعالى بالفساد ، وهذا هو الواقع والمشاهد (١٣٠) ، وهو الذي يحذّرنا الله تعالى منه بقوله {وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ } (١٣١) ٠

المطلب الرابع :- واقعيّة القرأن الكريم في كلامه عن سارة زوجة إبراهيم – عليه السلام – حينما بشرتها الملائكة بالولد :-

صوّر القرآن الكريم موقف السيدة سارة زوجة إبراهيم – عليه السلام – حينما بشّرتها الملائكة بالولد ، وهي كانت كبيرة السنّ ، ومع ذلك عقيم لا تلد حتى في عهد شبابها ، فقد بين القرأن الكريم أنها استقبلت هذا النبأ باستغراب ، ولذلك لطمت بأطراف أصابعها على وجهها عجباً وحياءً ، وقالت : أنا عجوز كبيرة ، عاقر لم ألد قط ، فكيف ألد ألان ، وعمري تسع وتسعون سنة ، وكان عمر إبراهيم – عليه السلام – حينئذ مائة وعشرين سنة (١٣٢) ٠

وهذا من تعامل القرأن الكريم مع القضايا بواقعيّة ، حيث تحّدث حتى عن لطم سارة لوجهها ، لأن ذلك هو عادة النساء في مثل هذه المواقف ، وهذا هو الواقع والمشاهد ٠

يقول تعالى في ذلك {فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ } (١٣٣) ٠

المبحث الرابع :- واقعيّة القرأن الكريم في تصويره لطبائع الناس : -

إنّ القرأن الكريم واقعيّ في قراءته للنفوس البشّرية ، إذ يصيب الهدف حينما يريد ان يظهر ما في نفوس الإنسان من الطبائع والأخلاق ، ثم إنه واقعيّ حينما يلبسها ثوب المحسوسات ، ويصوّرها للإنسان ليقربه من ذهنه، وفيما يأتي بيان لبعض ذلك ٠

المطلب الأول :- واقعية القرأن الكريم في تصويره للمعرضين عن دين الله تعالى ومنهجه :-

بيّن القرآن الكريم أن هناك من الناس من اتّخذ دين الله تعالى ورسله لهواً ولعباً ، فلم يلتفت إلى المنهج الربّاني ، ولم يلتزم به ، وإنما أعرض عنه ، وأقبل على الدنيا الفانية ، فغّرته هذه الحياةالقليلة الدّنيئة بالنسبة إلى الحيوة الأخروية ، وهذا واقعيّ نحسّ به في مجتمعنا ، فما أكثر هؤلاء ، وقد هّددهم تعالى بأنّه يتركهم في الأخرة ، فلا ينعم عليهم بسبب كفرانهم وجحودهم في الدنيا ، يقول تعالى في ذلك {الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْواً وَلَعِباً وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَاء يَوْمِهِمْ هَـذَا وَمَا كَانُواْ بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ }(١٣٤) ٠

وقد وصف الله تعالى هؤلاء بأنّهم شرّ من يدبّ على الأرض ، لأنهم صمّ القلوب وبكمْها وعميها ، عن الحق واتباعه ، وهذا ما نحسّ به في الواقع في بعض من أعرض عن ذكر الله تعالى ، يقول تعالى في ذلك {إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ وَلَوْ عَلِمَ اللّهُ فِيهِمْ خَيْراً لَّأسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ } (١٣٥) ٠

المطلب الثاني :- واقعيّة القرآن الكريم في بيانه لأحوال الناس وطلباتهم :-

إنّ القرآن الكريم واقعيّ في وصفه لطبيعة الإنسان الاستعجالية فقد أخبر القرأن أن الإنسان يستعجل الشر حينما يغضب على أهله واولاده ، فيدعو عليه وعليهم بالشرّ منه تعالى ، كما يدعو بالخير ، ولكن الله تعالى لفضله ورحمته بعباده لا يعجّل لهم الشر كما يعجّل لهم الخير (١٣٦) ، وهذا ما نحسّ به في الواقع وفي أنفسنا ، يقول تعالى في ذلك {وَلَوْ يُعَجِّلُ اللّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ}(١٣٧) ، فهو تعالى برحمته يمهل الظالمين حتى لا يبقى لهم عذر في عدم رجوعهم إلى الله تعالى ٠

ثم يخبر القرآن الكريم عن طبيعة أخرى للإنسان بأنّه إذا مسّه الضّر والضجر والقلق ، فهو يدعوالله تعالى ويبالغ في ذلك ، ويلحّ على الله في دعائه ، لكي يكشف عنه تعالى ضره ، فهو يدعو في كل أ حواله من الاضطجاع ، والقعود ، والقيام واذا ما فرج الله تعالى عنه شدّته ، وكشف كربته أعرض ونأى بجانبه ، وذهب كأنّه ما كان به من ذاك شيء (١٣٨) ، وكما يقول تعالى {وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَآئِماً فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَّسَّهُ } (١٣٩) ، وهذا مما أخبر به القرأن عن الواقع الموجود ، حيث إنّ مثل هؤلاء كثير ممّن يعبدون الله تعالى على حرف ، وقد ذّم من هذه صفته وطريقته ، فقال { كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ } (١٤٠) ، هذا من طبيعة الإنسان الاّ من رزقه الله تعالى الثبات والاستقامة على الدين ، فهو يعبد الله تعالى في كلّ أحواله ، في السرّاء والضراء ، وفي الفقر والغنى (١٤١) ٠

كما يصّور تعالى أحوال الناس الراكبين في السفن الجارية فوق البحار بريح هادئة لينّة ، كيف تغيرأحوالهم اذا تعرّضت سفنهم للاضطرابات ، ومخاطر الغرق بتغيرالريح واشتدادها ، حيث يتأكد الراكبون أنهم هالكون بسبب ألاعاصير والامواج العاتية التي تحيط بهم من كلّ جهة ، ففي تلك الحالة الرهيبة لا يجد الركاب ملجأ غير الله تعالى ، فيتجهون إليه تعالى مخلصين له الدين والعبادة ، ويعدون بصدق وحرارة وإخلاص : لئن أنجاهم الله تعالى من تلك المخاطر ليكونن من جماعة الشاكرين والموحّدين والعابدين له تعالى ، ولكن سرعان ما تتغيّر أحوالهم بعد أن ينجيهم الله تعالى من تلك المخاطر ، وينقذهم من خطر الغرق ، إذ يعودون إلى سيرتهم الأولى ، من نكران لوجود الله تعالى وتوحيده ، والوقوع في الظلم والبغي ، والعصيان والفسوق (١٤٢) ، كما يقول تعالى {وَإِذَا مَسَّكُمُ الْضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفُوراً } (١٤٣) ، ويقول تعالى {هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَاءتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنِّ مِنَ الشَّاكِرِينَ فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنفُسِكُم مَّتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَينَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ } (١٤٤) ٠

وما قاله تعالى في هذه الأيات هو الواقع الموجود بين كثير من الناس الذين لم يستقيموا على دين الله تعالى ٠

الخاتمة وأهم نتائج البحث

١- إن القرآن الكريم هو كلام الله المعجز الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه وأفحم أفصح العرب في ذلك ، كان واقعياً في كل ما عرضه من عقائد واحكام وأداب ، وموافق في كل ذلك للفطرة السليمة والواقع والمشاهد ٠

٢- ان القرآن الكريم يحارب الترهات والخرافات والجهلات البعيدة عن الواقع والعلم والعقل ٠

٣- إن الإسلام ومن خلال دستوره الخالد يحث على الأجتهاد ، وينبذ التقليد الأعمى ، وقد وضع أطراً كثيرة وضوابط مهمة ، لتكون أحكامه وتشريعاته واقعية ٠

٤- إن القرآن الكريم واقعي فيما يحرم ، وفيما يضع مقابله من بدائل مثل تحريمه للزنا ، وتشريعه للزواج ، تشريعه للبيع والشراء والتجارة وتحريمه للربا والميسر وأكل أموال الناس بالباطل ٠

٥- بين القرآن الكريم واقعية الانبياء عليهم السلام في تعاملهم مع أممهم وفهمهم لواقع قومهم – وتعاملهم مع أوامر الله تعالى المكلفين بتبليغها للناس ٠

٦- كان القرآن الكريم واقعياً حينما راعى في تشريعه للأحكام المختلفة الغرائز الفطرية في الأنسان كغريزة ألاكل والجنس ، وكان واقعياً حينما أعترف بوجود المشقة والكره في بعض التكاليف الشرعية على الأنسان ، مثل الجهاد والزكاة والصلاة والصوم غير ذلك ٠

٧- إن القرآن أثبت واقعيته عندما راعى أحوال العباد من المرض والسفر والعجز ، حيث أعطاهم الرخص بالتخفيف عنهم في هذه الحالات في كل العبادات ٠

٨- يظهر واقعية القرآن الكريم في نهيه الناس أن يأكلوا أموالهم بينهم بالباطل أو أن يدفعوها للحكام ليجعلوا من باطلهم حقاً ، أو أن يجعلوا من الرشوة والفساد المالي والاداري منهجاً لهم ليظلم القوي الضعيف ، وإنما أمرهم باحترام بعضهم البعض وأن يتعاملوا بحسن وأدب رفيع ويكون شعارهم السلام والمحبة والوئام ٠

٩- إن القرآن واقعي وصريح في تعامله مع المنافقين والمفسدين في الارض ، وواقعي ايضاً في ذمه لحملة العلم الفاسقين الذين يقولون ما لايفعلون ، ولا سيما في تشبيههِ لهم بالحمار الذي يحمل أسفاراً ٠

١٠- القرآن الكريم واقعي في قراءته وتحليلاته للنفوس البشرية وفي تشريعاته بناءً على ذلك ، وفي تصويره للإنسان ومدى حبه للاستطلاع والبحث عن كوامن الاشياء ، وحبه لإظهار إحسانه الى الناس رياءً وعدم سيطرته على نفسه في غيبة الناس وذمهم والاستهزاء بهم ٠

١١- كان القرآن واقعياً في تعامله مع الأحداث التأريخية ، والدلالات العلمية والطبية ، وفي بيانه لأحوال الناس ، مبيناً أن نظام الكون مبني على أساس الأخذ بالاسباب ، وان السماء لا تساقط ذهباً ، بل على الأنسان أن يعمل ويربط الأسباب بالمسببات ، والبركة من الله تعالى ٠

الهوامش

١. فصلت : ٥٣
٢. ينظر : الوجيز في شرح القواعد الفقهية : ٤٣، ٩٩ ، ١٨١
٣. الاعراف : ١٥٠
٤. الاعراف : ١٥٠
٥. الاعراف : ١٥٠ وينظر : التحرير والتنوير : ١٧١
٦. ينظر : التحرير والتنوير : ١٦٨ / ١٧١
٧. ينظر : قصص الانبياء ، محمد متولي الشعراوي : ٥/ ٣٢٠٨ / ٣٢٢٢
٨. المائدة : ١١٦
٩. ينظر لمسات بيانية في نصوص التنزيل : ٨٠
١٠. ينظر : المصدر نفسه : ٨٠
١١. ينظر : دراسات قرأنية : ٣٨٠
١٢. ال عمران : ١٥٩
١٣. ينظر : من توجيهات الأسلام : ٢٦٢

١٤. المصدر السابق : ٤٥٤ ــ ٤٥٥
١٥. دراسات قرأنية : ٣٨٠
١٦. المصدر السابق :٣٨٠ ــ ٣٨١
١٧. المصدر السابق : ٣٨٠
١٨. ال عمران : ١٥٩
١٩. الملك : ١٤
٢٠. البقرة : ٨٣
٢١. روى ابن أبي حاتم الرازي بسنده عن معاذ بن جبل أنه قال ((أحيل الصيام على ثلاثة أحوال ، كانوا يأكلون ويشربون ويأتون النساء ما لم يناموا ، فاذا ناموا امتنعوا من ذلك ، فجاء عمر بن الخطاب امراءة له بعد ما نام ، فذكر ذلك لرسول الله (صلى الله وعليه وسلم) ، فانزل الله تعالى {أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ }البقرة١٨٧ تفسير ابن ابي حاتم الرازي : ١ / ٢٨١
٢٢. البقرة : ١٧٨
٢٣. ينظر : تفسير الجلالين : ٢٩
٢٤. النساء : ٤٣
٢٥. النساء : ٢١
٢٦. النساء : ٢٣
٢٧. الاعراف : ١٨٩
٢٨. ينظر: مختصر الخازن : ١ / ١٤٤ ، وتفسير المراغي : ١ / ٢٥٣
٢٩. البقرة : ٢٨١
٣٠. البقرة : ٢١٦
٣١. ينظر : تفسير الجلالين :٣٤
٣٢. دراسات قرأنية : ٣٠٦
٣٣. البقرة : ٢١٦
٣٤. تفسير المراغي : ١ / ٢٩١
٣٥. ينظر : المصدر نفسه : ١/ ٢٩٧
٣٦. ينظر : تفسير الجلالين : ٣٤
٣٧. البقرة : ٣٨
٣٨. الوجيزشرح قي القواعد الفقهية : ٩٩
٣٩. المصدر السابق : ٩٦
٤٠. البقرة : ٢٨١
٤١. الطلاق : ٤١
٤٢. ينظر ، موضوع صلاة الخوف في الكتب الفقهية : مغني المحتاج : ١ / ٤٥٤ وينظر : تحفة المحتاج : ١ / ٣٦٣ ــ ٣٦٤ ، وينظر ايضاً ، الفقه الأسلامي وادلته : ٢/ ١٤٦٨ ــ ١٤٧٠
٤٣. النساء : ١٠٢
٤٤. ينظر : مدخل الى الثقافة الأسلامية : ١٢٤
٤٥. ينظر : عمدة القاري : ٤/ ٢٧٨
٤٦. الأسراء : ٧٠

٤٧. رواه الترمذي في سننه : ٤/ ١٦ ، باب ما جاء في تشديد قتل المؤمن ، وابن ماجة في سننه : ٢/ ٨٧٤ ، باب هل لقاتل المؤمن توبة ، والنسائي في سننه الكبرى : ٢ / ٢٨٤ ، باب تعظيم الدم ، والبيهقي في سننه الكبرى : ٨/ ٢٢، باب تحريم القتل من السنة
٤٨. البقرة : ١٧٩
٤٩. المائدة : ٤٥
٥٠. البقرة : ١٨٨
٥١. ينظر: تفسير المراغي : ١ / ٢٥٥ ، وينظر : فتاوي القرأن : ١١٠
٥٢. ينظر: تفسير المراغي : ١ / ٢٥٧
٥٣. ينظر : فتاوي القرأن : ١١٠
٥٤. ينظر: مختصر الخازن : ١ / ١٤٩
٥٥. البقرة : ١٨٩
٥٦. نزلت هذه الاية في الاخنس بن شريف الثقفي حليف بني زهرة ، واسمه أبي، وانما سمي اخنساً ، لانه خنس يوم بدر بثلاثمائة رجل من بني زهرة عن قتال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وذلك أنه أشار على بني زهرة الرجوع يوم بدر ، وكان حلو الكلام ، ينظر : مختصر تفسير الخازن : ١ /١٦٩
٥٧. البقرة : ٢٠٤ ــ ٢٠٥
٥٨. البقرة : ٢٠٦
٥٩. مختصر تفسير الخازن : ١ / ١٧٠
٦٠. النساء: ١٤٥
٦١. ينظر : من توجيهات الأسلام : ٢٠٤
٦٢. الصف : ٢ ــ ٣
٦٣. التوبة: ١٠٥
٦٤. الاعراف : ١٧٩
٦٥. ينظر التفسير المنير : ١٤/ ٥٧٠
٦٦. دراسات قرأنية : ٣٤٨
٦٧. الجمعة : ٥
٦٨. ينظر: تفسير القرأن العظيم : ٩/ ٤١
٦٩. العصر : ١ ــ ٤
٧٠. الاحزاب : ٢١
٧١. ينظر : من توجيهات الأسلام : ٣٦٧ ــ ٣٦٨
٧٢. البقرة : ٢٣١
٧٣. تفسير السراج المنير: ١ / ١٧٤
٧٤. ينظر: تفسير السراج المنير: ١ / ١٧٧
٧٥. ينظر: المصدر السابق : ١/ ١٧٧
٧٦. البقرة : ٢٣٥
٧٧. البقرة : ٤٥٦
٧٨. الكهف : ٢٩
٧٩. الاسراء : ٧٠
٨٠. ينظر: تفسير المراغي
٨١. الانعام : ٩١
٨٢. الانعام :١٠٣

٨٣. الشورى : ١١
٨٤. يونس : ١٠١
٨٥. الذاريات : ٢١
٨٦. البقرة : ٢٥٩
٨٧. البقرة : ٢٦١
٨٨. ينظر: تفسير السراج المنير: ١ /٢٠٢
٨٩. ينظر: تفسير المراغي : ١ / ٢٩٧
٩٠. البقرة : ٢٦٤
٩١. ينظر: التفسيرالمنير: ١٣/ ٥٨١
٩٢. الحجرات :١١
٩٣. ينظر: التفسيرالمنير: ١٣/ ٥٨٢
٩٤. ينظر: المصدر السابق : ١/ ١٧٧
٩٥. ينظر: تفسير السراج المنير: ١ /١٩٧
٩٦. البقرة: ٢٥٨
٩٧. البقرة: ٢٦٠
٩٨. يونس : ٩٢
٩٩. ينظر: عمدة التفسير :٢/٢٤٢
١٠٠. الانعام : ٩٥
١٠١. الانعام : ٩٦
١٠٢. الانعام ٩٧
١٠٣. الانعام : ٩٨
١٠٤. الانعام : ٩٩
١٠٥. الانعام : ١٠٠
١٠٦. الانعام : ١٠١
١٠٧. الصافات : ٤٥،٤٦
١٠٨. ينظرتفسير الخازن : ٣ / ١٨٤
١٠٩. فصلت : ٥٣
١١٠. ينظر : القرأن العظيم هدايته واعجازه في اقوال المفسرين : ٣٢٨
١١١. ينظر : فتاوى القرأن : ٤٠٣
١١٢. ال عمران : ٣٦
١١٣. دراسات قرأنية : ٣٣٠
١١٤. المصدر السابق : ٣٣٠
١١٥. ينظر : من توجيهات الأسلام : ١٦٩
١١٦. ينظر : صفوة التفاسير : ١/ ١٣٦
١١٧. ال عمران : ٣٧
١١٨. صفوة التفاسير : ١/ ١٣٧
١١٩. مريم : ٧ – ١٠
١٢٠. ال عمران : ١٥٤
١٢١. يوسف : ٦٧ – ٦٨
١٢٢. يوسف : ٦٨
١٢٣. مريم : ٢٥

١٢٤. تفسير الشعراوي : ١٥/ ٩٠٦٧
١٢٥. ينظر : قصص الانبياء : ٣٠٤٢
١٢٦. ينظر : من صنيع القرأن : ٢٨٣ ، ٢٨٤
١٢٧. ص : ٤١ – ٤٢
١٢٨. يغالطونك اذ يقولون : ٢٢٠
١٢٩. الروم :٤١
١٣٠. ينظر : البيئة من منظور اسلامي : ٨٢
١٣١. الأنفال : ٢٥
١٣٢. التفسير المنير : ١٤/ ٢٦ – ٢٩
١٣٣. الذاريات : ٢٩
١٣٤. الاعراف : ٥١
١٣٥. الانفال : ٢٢ – ٢٣
١٣٦. ينظر: عمدة التفسير :٢١٦/٢
١٣٧. يونس : ١١
١٣٨. ينظر: عمدة التفسير :٢١٦/٢
١٣٩. يونس : ١٢
١٤٠. يونس : ١٢
١٤١. عمدة التفسير :٢١٦/٢
١٤٢. ينظر التفسير الوسيط : ٢/ ٩٥٨
١٤٣. الاسراء : ٦٧
١٤٤. يونس : ٢٢ – ٢٣

المصادر والمراجع

١. البيئة من منظور إسلامي: (د٠ صالح محمود وهبي)، دار الفكر ، دمشق ، ط١ ، ٢٠٠٤م ٠
٢. التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٠ م ٠
٣. تحفة المحتاج بشرح المنهاج : (شيخ الإسلام شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي : (ت ٩٧٤ هـ) ، وهو شرح على كتاب : (منهاج الطالبين) في فقه الإسلام الشافعي ، للإمام أبي زكريا محي الدين يحيى بن شرف النووي : (ت ٦٧٦ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ٢٠٠١ م٠
٤. تفسير ابن ابي حاتم الرازي المسّمى التفسير بالمأثور : (شيخ الإسلام عبدالرحمن بن ابي حاتم محمد بن ادريس التميمي الحنظلي الرّازي المتوفّى (٣٢٧ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ٢٠٠٦ م ٠
٥. تفسير الجلالين بهامش القرأن الكريم ، للعلاّمتين : (جلال الدين محمد بن أحمد المحلّي ت : ٨٦٤هـ ، وجلال الدين عبدالرحمن بن ابي بكر السيوطي : ت ٩١١ هـ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٩ م ٠
٦. تفسير السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير ، تفسير الخطيب الشربيني المصري المتوفّى ت ٩٧٧ هـ ، دار الكتب العلمية ، ببيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٤ م ٠

٧. التفسير الكبير : (فخرالدين محمد بن عمرالتميمي الرازي الشافعي)(٥٤٤ هـ - ٦٠٤ هـ)، دار الكتب العلمية ، بيروت ط ١ ، ٢٠٠٠م ٠

٨. تفسير الشعراوي : (محمد متولّي الشعراوي) ، أخبار اليوم ، (د٠ ط) و (د٠ ت) ٠

٩. تفسير القرآن العظيم ، المسمى أولى ما قيل في أيات التنزيل : (رشيد خطيب الموصلي) ١٩٧٤ م ، مؤسسة دار الكتب ، جامعة الموصل ، (د٠ ط) ٠

١٠. تفسير المراغي : (أحمد مصطفى المراغي) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ١٩٩٨ م٠

١١. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج : (أ٠د٠ وهبة الزحيلي) ، دار الفكر ، دمشق ، ط ٨ ، ٢٠٠٥ م ٠

١٢. التفسير الوسيط : (أ٠د٠ وهبة الزحيلي) ، دار الفكر ، دمشق ، ط ٢ ، ٢٠٠٦ ٠

١٣. دراسات قرآنية : (محمد قطب) ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٩٥ م ، (د٠ ط) ٠

١٤. سنن ابن ماجة : (محمد بن يزيد أبو عبدالله القرويني) : (٢٠٧ هـ - ٢٧٥ هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي ، (د٠ ط ، د٠ت) ٠

١٥. صفوة التفاسير: (د٠ محمد علي الصابوني) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط ٢ ، ٢٠٠٠ م٠

١٦. سنن البيهقي الكبرى : (أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي) : (٣٨٤ هـ - ٤٥٨ هـ) ، مكتبة دار الباز ، مكة المكرمة ، تحقيق : محمد عبدالقادر عطا ، ١٩٩٤ م ، (د٠ ط) ٠

١٧. سنن الترمذي : (أبو عيسى الترمذي السلمي : محمد بن عيسى : (٢٠٩ هـ - ٢٧٩ هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، تحقيق : أحمد محمد شاكر واخرون ،(د٠ ط) ، (د٠ت) ٠

١٨. سنن النسائي الكبرى : النسائي (أحمد بن شعيب أبو عبدالرحمن : (٢١٥ هـ - ٣٠٣ هـ) ، تحقيق د٠ عبدالفغار سليمان البنداري ، سيد كسروي حسن ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د٠ ط) ، (د٠ ت) ٠

١٩. عمدة القاري شرح صحيح البخاري : (بدرالدين محمد بن أحمد العيني) : (٧٦٢ هـ- ٨٥٥ هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، (د٠ ط) ، (د٠ ت) ٠

٢٠. عمدة التفسير عن الحافظ بن كثير ، مختصر تفسير القرآن العظيم (الشيخ أحمد شاكر) ، دار الوفاء ، مصر ، ط ٢ ، ٢٠٠٥ م٠

٢١. الفقه الإسلامي وأدلته : (أ٠د٠ وهبة الزحيلي) ، دار الفكر ، دمشق ، ط ٤ ، ١٩٩٧ م٠

٢٢. فتاوى القرآن : (محمد متولّي الشعراوي) ، مكتبة التراث الإسلامي ، القاهرة ، ط١، ٢٠٠٤ م٠

٢٣. القرآن العظيم هدايته وإعجازه في أقوال المفسرين : (محمد الصادق إبراهيم عرجون) ، دار القلم دمشق ، الدار الشامية ، بيروت ، ط ٢ ،١٩٨٩ م ٠

٢٤. قصص الانبياء : (محمد متولّي الشعراوي) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، (د٠ط) ، (د٠ ت) ٠

٢٥. لمسات بيانية في نصوص التنزيل : (د٠ فاضل صالح السامرائي) ، دار عمار ، عمان ، الأردن ، ١٩٩٨ م ، (د٠ ط) ٠

٢٦. مغني المحتاج الى معرفة معاني ألفاظ المنهاج : (ألشيخ شمس الدين محمد بن الخطيب الشربيني) على متن منهاج الطالبين للإمام النواوي ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان، ط ٢ ، ٢٠٠٤ م٠
٢٧. مختصر تفسير الخازن المسّمى لباب التأويل في معاني التأويل : (الإمام علاءالدين علي بن محمد البغدادي المعروف بالخازن) اختصره وهذبه : الشيخ عبدالغني الدقر ، دار اليمامة ، دمشق ، ط ١ ، ٢٠٠٣ م٠
٢٨. مدخل الى الثقافة الإسلامية : (د٠ مصدق حسن) دارالنهضة ، سورية ، ط ١ ، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م٠
٢٩. من توجيهات الإسلام : (محمود شلتوت) ، دار الشروق ، القاهرة ، ط ٧ ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م ، ط ٨ ، ٢٠٠٤ م٠
٣٠. من ضيّع القرآن : (د٠ شوقي ابو خليل) ، دار الفكر ، دمشق ، ط ٢ ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م٠
٣١. يغالطونك اذ يقولون : (د٠ محمد سعيد رمضان البوطي) ، دار الفارابي للمعارف ،ط ٣ ، ٢٠٠٠ م٠

Reality in The Holy Quran , in Seledcd Verses : An Objective Study

Dr. Karim Najim Khidhir
Assistant Professor
Kirkuk University – college of Education

Abstract

The Holy Quran is the primary source of Islamic Legislation, which is realistic in all the tenets and provisions that it carries because it is God's speech whose knowledge encompasses everything. Therefore, the Almighty had made it the ultimate of this legislations whose miracles and donations are unceasing. Thus when this eternal, miraculous and realistic book does not violate any permanent scientific development is realistic when it denies superstitions and ignorance which have scientific or intellectual bases.

The Holy Quran is realistic when it focuses on reason and science and recommends meditation and brooding. It is realistic in all its jurisprudence and social legislations and when it allows those things which conform to the sound intuitions and it protects the righteous manner and right moralities.

This paper falls into two sections, where the researcher focuses on the realism in the Holy Quran when it is seen that the prophets (peace be upon

them) deal realistically with people, and in the Almighty's legislations and in its realistic analyses of the human psyches selves.

And in its realistic tackling of the historical events, medical facts, and in depicting of creatures manners through analysing selected samples from the Quranic verses.